البحث السادس والثمانون

النظم القرآني عند الإمام الرُّمَّاني
بين
الأثر النفسي والتعبير الجمالي

إعداد

د / فتحي جلال أحمد أحمد

مدرس البلاغة والنقد

في كلية اللغة العربية بأسيوط

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ،،،

فمما لاشك فيه أن القرآن معجز ، وأنه معجز بالنظم ، حتى إن الذين لم يسلموا من القول بالصرفة قالوا . أيضاً . إنه معجز به [١] ، وحسبك في هذا قول الجاحظ : " وفي كتابنا المنزل الذي يدلنا على أنه صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد " . [٢]

هذا " .. وإذا كان القرآن الكريم معجزاً ببلاغته وكان النظم هو مناط البلاغة فلا شك أن إعجازه في نظمه " . [٣]

ورغم أن أهل العلم قد تعددت أقوالهم في الإعجاز إلا أنهم قد ذهبوا إلى إنه معجز ببلاغته ، وما ذلك إلا لأن " .. القرآن في الدرجة العليا من البلاغة التي لم يعهد مثلها " . [٤]

---

[١] ينظر : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، تحقيق : عبد الله المنشاوي ، ص : ١٢٦ ، ن : مكتبة الإيمان بالمنصورة ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

[٢] كتاب الحيوان للجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ٤ / ٩٠ ، ن : دار الجيل ، بيروت ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

[٣] الإعجاز القرآني وجوهه وأسراره ، د/ عبد الغني بركه ، ص : ١٨٥ ، ن : مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

[٤] إعجاز القرآن للرافعي ١٢٦ .

والعلامة " الرُّمَّاني " [١] واحد من أولئك الأعلام ، فهو وإن تعددت وجوه الإعجاز عنده . ومنها الصرفة [٢] إلا أنه قد أطال فى هذا الوجه . وهو البلاغة . شرحاً ، وتوضيحاً ، وتفصيلاً وإبانة [٣] " بغية أن يدلك على أن بلاغة القرآن قد بلغت أسمى الغايات وأنها فى مرتبة أعجزت جميع البلغاء " [٤] .

ليس ذلك فحسب ، بل إن الشيخ قد جعل علوَّ طبقة بلاغته فى الحسن مظهراً من مظاهر إعجازه [٥] ، كما كان له . أيضاً . لفتة مهمة في

---

[١] هو أبو الحسن علي بن عيسى الرُّمَّاني ، نسبة إلى الرمان المعروف أو إلى قصر الرمان بواسط ، ولد ببغداد سنة ست وتسعين ومائتين من الهجرة ، وتوفى سنة أربع وثمانين أو ست وثمانين عن عمر بلغ ثمانية وثمانين عاماً .
كان إماماً في العربية ، علامة في الأدب ، شغوفًا بعلم المنطق حتى مزج النحو به ، سخَّر طاقاته العلمية خدمة لكتاب الله . عز وجل . فكان من ثمرتها هذه الرسالة ، وهي " النكت في إعجاز القرآن " والتي انبتقت منها هذه الدراسة التي نحن بصدد الحديث عنها .
يراجع هذا في : وفيات الأعيان وأبناء الزمان لابن خلكان ، تحقيق : محيى الدين عبدالحميد ٢ / ٤٦١ ، مطبعة النهضة المصرية ، ط : أولى ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ١٤ / ٧٣ ، ٧٤ ، مطبعة دار الفكر ، ط : ثالثة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

[٢] ينظر : النكت في إعجاز القرآن للرماني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم تحقيق : محمد أحمد خلف الله ، د/ زغلول سلام ، ص : ٧٥ ، ط : دار المعارف ، ط : رابعة .

[٣] في البحث البلاغي قراءة ثانية للباحث ، ص : ١٤٢ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

[٤] دراسات حول الإعجاز البياني فى القرآن ، د/ المحمدي عبد العزيز الحناوي ، ص : ١٣٦ دار الطباعة المحمدية ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

[٥] ينظر : النكت : ٧٦ .

هذا الباب " ... تشير إلى أن وظيفة البلاغة .. هي التأثير في المتلقي والمخاطب بجانب نقل المعنى إليه ، وذلك بعرض المعاني في معارض تهش لها النفوس وترتاح لها القلوب " . [١]

لهذا ولغيره ـ إلى جانب ما سيأتي [٢] ـ كانت فكرة هذا البحث ، وهي :

" النظم القرآني عند الإمام الرُّمَّاني بين الأثر النفسي والتعبير الجمالي "

وقد اشتمل على مقدمة وتمهيد وعشر مباحث ، وخاتمة ، وفهرس للمصادر والمراجع.

ـ **أما المقدمة** : فقد أشرت فيها ـ فى إيجاز وتركيز ـ إلى إعجاز القرآن بنظمه ، وأن علو طبقة بلاغته فى الحسن وأثرها فى النفس مظهران من مظاهر إعجازه .

ـ **وأما التمهيد** : فقد عرضت فيه لفكرة النظم القرآني عند الإمام الرُّمَّاني وقد اشتملت على ما يلي :

١. الأسباب الداعية إلى نشأة هذه الفكرة .

٢ـ أقوال وردود تكشف عن فكرة النظم عند الإمام الرُّمَّاني ، وتعد أصولاً للدرس البلاغي عند الإمام عبد القاهر .

٣. مشتبه النظم القرآني عند الإمام الرُّمَّاني .

٤. أسس التعبير الجمالي عند الإمام الرُّمَّاني .

---

[١] الإعجاز القرآني د/ عبد الغني بركه ٨٢ .

[٢] ينظر البحث ص ٧٤٢٦ .

٥. مفهوم البلاغة عند " الرُّمَّاني " يهدف إلى هذه التسمية .

ـ وأما مباحث النظم القرآني عند الإمام الرُّمّاني بين الأثر النفسي والتعبير الجمالي ، فقد اشتملت على عشر مباحث :

المبحث الأول : الإيجاز القرآني عند الإمام " الرُّمَّاني " بين الأثر النفسي والتعبير الجمالي .

المبحث الثاني : التشبيه القرآني عند الإمام " الرُّمَّاني " بين الأثر النفسي والتعبير الجمالي .

المبحث الثالث : الاستعارة القرآنية عند الإمام " الرُّمَّاني " بين الأثر النفسي والتعبير الجمالي .

المبحث الرابع : التلاؤم القرآني عند الإمام " الرُّمَّاني " بين الأثر النفسي والتعبير الجمالي .

المبحث الخامس : الفواصل القرآنية عند الإمام " الرُّمَّاني " بين الأثر النفسي والتعبير الجمالي .

المبحث السادس : التجانس القرآني عند الإمام " الرُّمَّاني " بين الأثر النفسي والتعبير الجمالي .

المبحث السابع : تصريف المعاني عند الإمام " الرُّمَّاني " بين الأثر النفسي والتعبير الجمالي .

المبحث الثامن : تضمين المعاني عند الإمام " الرُّمَّاني " بين الأثر النفسي والتعبير الجمالي .

المبحث التاسع : المبالغة القرآنية عند الإمام " الرُّمَّاني " بين الأثر النفسي والتعبير الجمالي .

المبحث العاشر : البيان القرآني عند الإمام " الرُّمَّاني " بين الأثر النفسي والتعبير الجمالي .

- **وأما الخاتمة** : فقد اشتملت على أهم النتائج والتوصيات التى انتهى إليها البحث .

. **وأما الفهرس** فقد اشتمل على ثبت للمصادر والمراجع التي استقى منها البحث مادته .

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل

تمهيد

" فكرة النظم القرآني عند الإمام الرُّمَّاني "

وتشتمل على :

١ـ الأسباب التى أدت إلى نشأة هذه الفكرة :

نشأت هذه الفكرة نتيجة للأسباب الآتية :

الأول : ما ذكره بعض الدارسين المحدثين من " .. أن " الرُّمَّاني " بتحديده لمعنى البلاغة ـ والذى هو عنده يعني : " إيصال المعنى إلى القلب فى أحسن صورة من اللفظ " ـ إنما يبعث من جديد قضية اللفظ والمعنى التى كانت موجودة فى عهد الجاحظ " . [١]

وبناءً عليه فهو " يرى ـ أي الرُّمَّاني ـ أن البلاغة فى اللفظ والمعنى معاً ولا يتحقق وجودها إلا بتحققهما معاً وتلازمهما تلازماً تاماً".[٢]

الثاني : وهو مرتبط بساقه ـ أن الجاحظ وإن اعتبر أن المعاني مطروحة فى الطريق ... وأن الشأن فى إقامة الوزن وتخير اللفظ ، وفى جودة السبك .. إلا أن قوله هذا لا يدل على أنه ـ أي الجاحظ ـ كان يعتبر أن البلاغة فى اللفظ بل فى " النظم وهو الذى يعول عليه .. وأن النظم هو مناط البلاغة " . [٣]

---

[١] المباحث البلاغية فى ضوء قضية الإعجاز القرآني د/ أحمد جمال العمري ، ص : ١١٥ ، الناشر مكتبة الخانجي القاهرة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، وينظر : النكت فى إعجاز القرآن للرماني ص : ٧٥ .

[٢] المباحث البلاغية د/ العمري ١١٥ ، وينظر : النكت للرماني ٧٥ .

[٣] المباحث البلاغية د/ العمري ١١٥ ، وينظر : كتاب الحيوان للجاحظ ٣ / ١٣١ .

وكأنه بهذا وسابقه يريد أن يقول إن فى قول الجاحظ من الدلالة على أن البلاغة فى النظم مالا يدل عليه تعريف الرُّمَّاني .

الثالث : ما ذكره العلامة " الباقلاني " : " من أن هذه الوجوه التى ذكرها "الرُّمَّاني" " ... منها ما يمكن الوقوع عليه والتعمل له ، ويدرك بالتعلم ، فما كان كذلك فلا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن به " . [١]

ويوضح هذه الفكرة فيقول : " .. إن قلنا ما وقع من التشبيه فى القرآن معجز ، عرض علينا من التشبيهات الجارية فى الإشعار مالا يخفى عليك " . [٢]

وموطن اعتراضه عليه يكمن فى أن هذه الوجوه بانفرادها ليس بمعجز ، وأن " الرُّمَّاني " إنما يعرض لها بمعزل عن النظم ، أما إن عرض لها فى ضوء ما يتصل به الكلام بعضه ببعض فهو لا ينكره بل يقول به.[٣]

الرابع : ما ذكره العلامة " الرُّمَّاني " نفسه ، وهو أن بلاغة القرآن فى أعلى طبقة [٤] ، والذى لاشك فيه " أن الكلام إذا علا فى نفسه . كما يقول الباقلاني . كان له من الوقع فى القلوب والتمكن فى النفوس ما يذهل ويبهج ، ويقلق ويؤنس ، ويطمع ويؤيس ، ويضحك ويبكي ، ويحزن ويفرح [٥] ، وكلها معان نفسية [٦] ، وقد وجد شبيه بها وكثير منها عند الرُّمَّاني .

---

[١] إعجاز القرآن للباقلاني ، تعليق : صلاح عويضه ، ص : ١٧٢ ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

[٢] إعجاز القرآن للباقلاني : ١٧٢ .

[٣] إعجاز القرآن للباقلاني : ٧٢ .

[٤] ينظر : النكت ٧٥ .

[٥] إعجاز القرآن للباقلاني ١٧٣ .

[٦] ينظر النكت : مناهج البحث البلاغي ، أ.د/ محمود مخلوف ، ص .

(١)

الخامس : ذِكْرُ الشيخ ـ أيضاً ـ لكثير من الألفاظ والعبارات الدالة على الجمال والحسن كعذوبة اللفظ وكونه أبلغ ، وحسن النظم وكونه فى باب البيان فى أعلى مرتبة . [٢]

السادس : نَصُّ الشيخ على كثير من القضايا الكلية فى ذلك الحسن رغم أن رسالته فى اللطائف والنكت ، والتي منها على سبيل المثال لا الحصر قوله فى باب الاستعارة : " .. وكل استعارة حسنة فهي توجب بياناً لا تنوب منابه الحقيقة"[٣] .

وقوله : " وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة ، لأنها طريق إلى إفهام المعاني التى يحتاج إليها فى أحسن صورة يدل بها عليها " [٤] ، " والمتلائم فى الطبقة العليا القرآن كله " [٥] ، والوجه الثالث من الإيجاز وهو الذى يكون يكون : وبإظهار الفائدة بها يستحسن دون ما يستقبح لأن المستقبح ثقيل على النفس ".[٦]

وناهيك عن قوله فى تعريف البلاغة : " إيصال المعنى إلى القلب فى أحسن صورة من اللفظ " [٧] ، وكأن فى هذا إشادة إلى أن كل وجه من وجوهها يبدو فى أحسن صورة من اللفظ ، فالإيجاز يبدو فى أحسن صورة

---

[١] ينظر النكت : ص : ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ١٠٨ .
[٢] ينظر النكت : ص : ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٠٧ .
[٣] ينظر النكت : ص : ٨٦ .
[٤] ينظر النكت : ص : ٩٨ .
[٥] ينظر النكت : ص : ٩٥ .
[٦] ينظر النكت : ص : ٧٩ .
[٧] ينظر النكت : ص : ٧٥ .

من اللفظ ، وكذلك التشبيه والاستعارة والتجنيس والتضمين .. إلخ .

لهذا ولغيره . بالإضافة لما سبق . [1] كان اختيار هذا الموضوع والولوج فيه ، وإليك ما يكشف عن هذه الفكرة ووضوحها عنده .

٣ـ أقوال وردود تكشف عن فكرة النظم عند الإمام " الرُّمَّاني " وتعد أصولاً للدرس البلاغي عند الإمام " عبدالقاهر " :

يرد على الأول منها والثاني بما يلي :

أولاً : أن هذا التعريف لا يقتصر على اللفظ والمعنى فحسأب ، ولا على ما بينهما من تلازم وارتباط ، بل يهدف فيما يهدف إلى النظم .

يقول د/ زغلول سلام:"...هذا التعريف يهدف إلى تحقيق معنيين ..

الثاني : متعلق بالأسلوب أو الصورة البيانية للبلاغة من اللفظ والصياغة والنظم وهو قوله : " فى أحسن صورة من اللفظ " . [2]

ثانياً : أن " الرُّمَّاني " لم يدرس وجهاً من وجوه الإعجاز البلاغي بمعزل عن النظم ، وأن النظم عنده بمعنى الضم والتأليف ، سواء أكان ذلك عن طريق التصريح أم عن طريق التطبيق على آية كريمة .

ففي الإيجاز بالقصر وفى مقام إظهار التفاوت بين قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ [3] ، وقول العرب : " القتل أنفى للقتل " ، يقول الشيخ : " وذلك يظهر من أربعه أوجه : منها .. " أنه ـ أي قول الله

---

[1] ينظر مقدمة البحث ص٧٤٢١ وما بعدها .

[2] أثر القرآن فى تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري ، د/ زغلول سلام ، ص ٢٣٦، ط : دار المعارف .

[3] سورة البقرة (١٧٩) .

تعالى . أكثر فى الفائدة...وأحسن تأليفاً بالحروف المتلائمة..".[١]

وقد عدَّ الشيخ التلاؤم وجهاً من وجوه الإعجاز ، وهو عنده : " تعديل الحروف فى التأليف " [٢] ، " وليس هناك فارق كبير بين تلاؤم الحروف فى الكلمة ، وتلاؤم الكلمة فى الكلام " . [٣]

. بل إن الشيخ قد عمم الأمر على القرآن كله ، وهو عنده بلا ريب : "من المتلائم فى الطبقة العليا " . [٤]

---

[١] النكت : ٧٧ .

[٢] النكت : ٩٤ .

[٣] ويضيف إلى هذا أستاذ د/ أبو موسى ما ملخصه : أن هذا وإن كان " .. يوشك أن يكون لفظياً بحتاً . وهو ظاهر فى كلام الجاحظ وفى سياقه . ثم جاء عبد القاهر وساق هذه الأوصاف فى تعديل مزاج معاني الكلمات فى التأليف من حيث وقوع مجاريها فى اللسان على وقف وقوعها فى النفس " [*] وذلك أصل من أصول النظم عند الإمام عبدالقاهر .

[*] الإعجاز البلاغي ، دراسة تحليلية لتراث أهل العلم ، أ.د/ محمد أبو موسى ، ص : ١٤٠ ١٤٣ ، ن : مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
. كما أن ما ذكره " الرُّمَّاني " فى كونه . أي قول الله . تعالى . أكثر فى الفائدة .. كان ملهماً للإمام عبد القاهر بأصل آخر من أصول النظم عنده ، وهو : الاَّ يكون لإحدى العبارتين مزية على الأخرى حتى يكون لها فى المعنى تأثيراً لا يكون لصاحبتها . [*]
تأمل قول الرُّمَّاني : " .. أما الكثرة فى الفائدة ففيه كل ما فى قولهم : القتل ألقى للقتل وزيادة معان حسنة ، منها : إبانة العدل بذكره القصاص ، ومنها إبانة الغرض المرغوب فيه لذكره الحياة ، ومنها الاستدعاء بالرغبة والرهبة لحكم الله به [**] ، وقول الإمام عبدالقاهر : بعدما يسوق الآية وقول العرب فى هذا الصدد : " .. فإنه وإن كان قد جرت عادة الناس أن يقولوا فى مثل هذا لم تهما عبارتان عن معنى واحد فليس هذا القول قولاً يمكن الأخذ بظاهره ، أو يقع لعاقل شك أن ليس المفهوم من أحد الكلامين المفهوم من الآخر . [***]

[*] ينظر : دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود شاكر ، ص : ٢٥٨ ، ن : مكتبة الخانجي ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م .

[**] النكت : ٧٩ .

[***] دلائل الإعجاز : ٢٦١ .

[٤] النكت : ٩٥ .

. والتشبيه البليغ هو : " الذى يخرج فيه الأعمق إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف " . [١]

. بل قد ورد لفظ النظم صريحاً فى موضعين :

الأول فى التعليق على قوله . تعالى . : ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ** ﴾ [٢] .

يقول الإمام : " وتشبيه أعمال الكافرين بالسراب من حسن التشبيه فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم ... إلخ " . [٣]

والثاني فى قوله فى باب البيان : " وحسن البيان فى الكلام على مراتب فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن فى العبارة من تعديل النظم .. " . [٤]

. وفى باب الاستعارة وعند قوله . تعالى . : ﴿ **فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً** ﴾ [٥] .

يقول الرُّمَّاني : " حقيقته منعناهم الإحساس بآذانهم من غير صمم ، والاستعارة أبلغ ، لأنه كالضرب على الكتاب فلا يقرأ كذلك المنع من الإحساس فلا يحس " . [٦]

ويضيف ما هو أدل على ما نحن بصدده من تعليق الكلام بعضه

---

[١] النكت : ٨١ .

[٢] النور ٣٩ .

[٣] النكت ٨٢ .

[٤] النكت ١٠٧ .

[٥] سورة الكهف آية (١١) .

[٦] النكت ٩٤ .

ببعض فيقول : " وإنما دل على عدم الإحساس بالضرب على الآذان دون الضرب على الأبصار لأنه أدل على المراد من حيث كان يضرب على الأبصار من غير عمى فلا يبطل الإدراك رأساً وذلك بتغميض الأجفان ، وليس كذلك منع الأسماع من غير صمم فى الآذان ؛ لأنه إذا ضرب عليها من غير صمم دل على عدم الإحساس من كل جارحة يصح بها الإدراك ، ولأن الآذان لما كانت طريقاً إلى الانتباه ثم ضربوا عليها لم يكن سبيل إليه " . (١)

ـ ومن المقرر أن ذلك أصل من أصول النظم التى ذكرها الإمام عبدالقاهر فى صدر حديثه عنه يقول : " ومعلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض " (٢) ، والذى يضاف إليه قوله : " فلا يتصور أن يكون ههنا "فعل" و " اسم" قد دخلته الاستعارة من دون أن يكون قد ألف مع غيره " . (٣)

ـ وأظهر من هذا وأوضح منه فى باب الإسناد تعليقه على قوله . تعالى . : ﴿ لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (٤) .

يقول الرُّمَّاني : " ... أصل البنيان إنما هو للحيطان وما أشبهها وحقيقته: اعتقادهم الذى عملوا عليه ، والاستعارة أبلغ لما فيها من البيان بما يحس ويتصور " ، ويضيف : " وجعل البنيان ريبة وإنما هو ذو ريبة والاستعارة أبلغ كما تقول : هو خبث كله ، وذلك أبلغ من أن يجعله ممتزجاً؛ لأن قوة الذى للريبة ، فجاء على البلاغة لا على الحذف الذي إنما يراد به

(١) النكت ٩٤ .
(٢) دلائل الإعجاز ٤ .
(٣) الدلائل ٣٩٢ .
(٤) سورة التوبة آية (١١٠) .

الإيجاز فى العبارة فقط " . [١]

فـ " الرُّمَّاني " ههنا يلفت إلى أمر ويشير إلى آخر .

أما الأول فهو يلفت إلى ما فى تركيب هذه الآية من تصوير ناشئ عن الإسناد فـ"البنيان"ليس ذا ريبة وإنما هو بنيان من الريبة كما تقول : هو خبث كله وليس هذا كقولك هو ذو خبث . [٢]

وأما الثاني فهو يشير إلى أن هذا التصوير لا يكون إلا إذا كان الكلام هكذا من دون تقدير محذوف . [٣]

يقول الرُّمَّاني : " فجاء على البلاغة لا على الحذف " ، وكان الحذف لو لحظناه تنطفئ به بلاغة الكلام ويذهب ماؤه ولو لم تقدر المحذوف ، وليس من المعقول عند الشيخ أن يكون هذا التخييل من عطاء الحذف ؛ لأن الحذف يكون عنده للإيجاز فقط . [٤]

وهذا هو أصل من قاله عبد القاهر فى بيت الخنساء " فإنما هي إقبال وإدبار " ، حيث أشار إلى أننا إذا جعلنا أصل الكلام : فإنما هي ذات إقبال وإدبار أفسدنا الشعر على أنفسنا وخرجنا إلى كلام عامي مرزول . [٥]

وهنا أيضاً : أصل ما قاله فى دراسة الحذف حين علق على بعض الشواهد بأن هيأة الكلام ونصبته تروم منك ألا تخطر المحذوف فى النفس

---

[١] النكت ٩١ .

[٢] الإعجاز البلاغي د/ أبو موسى ١٢٩ .

[٣] السابق ص١٢٩ .

[٤] السابق ص١٢٩ .

[٥] السابق ص١٢٩ ، والدلائل ٣٠٢ .

لأن الكلام يسقط بهذا . [١]

ثالثاً : أن الرُّمَّاني قد ذكر من وجوه الإعجاز البلاغي " التلاؤم " وهو عنده : " تعديل الحروف فى التأليف " ، " وليس هناك فارق كبير بين النظر إلى تلازم الحروف فى الكلمة تلاؤم الكلمة فى الكلام . كما سبق القول . " . [٢]

بيد أن هذا وإن كان يوشك أن يكون أمراً لفظياً بحتاً إلا أنه كان ملهماً للإمام عبد القاهر " فى تعديل مزاج معاني الكلمات فى التأليف من حيث وقوع مجاريها فى اللسان على وفق وقوع معانيها فى النفس " . [٣]

بل إن الشيخ قد صرَّح فيما عرف من بعد عند الإمام عبد القاهر فى مفهوم النظم وهو أن يكون ترتيب الألفاظ فى النطق على وفق ترتيب المعاني فى النفس . [٤]

وذلك فى تعليقه على قوله . تعالى . : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ ﴾ [٥] .

يقول : " حقيقته من شدة الغليان بالاتقاد والاستعارة أبلغ منه ؛ لأن مقدار شدة الغيظ على النفس محسوس مدرك مدى ما يدعو إليه من شدة الانتقام ، فقد اجتمع شدة فى النفس تدعو إلى شدة انتقام فى الفعل ، وفى ذلك أعظم الرجز وأكبر الوعظ ، وأدل دليل على سعة القدرة وموقع الحكمة "

---

[١] الإعجاز البلاغي د/ أبو موسى ص١٢٩ ، وينظر : الدلائل ١٥١ .

[٢] ينظر : البحث ص ٧٤٣٠.

[٣] ينظر : الإعجاز البلاغي د/ أبو موسى ١٤٢ ، والدلائل ٤٩ ، ٥٦ .

[٤] ينظر : دلائل الإعجاز ٥٦ .

[٥] سورة الملك آية ٨ .

. [١]

رابعاً : " ذكر الرُّمَّاني فى الفواصل أن التشاكل فى مقاطعها موجب حسن الإفهام ، وحسن الإفهام إنما يكون بحسن الإنابة ، وحسن الإنابة يعني توخي أفضل الوسائل وأوضحها وأكثرها استيعاباً لأحوال المعاني وأهواء النفوس " . [٢]

خامساً : ذكر الرُّمَّاني أن أعلى البيان مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن فى السمع ويسهل على اللسان ..إلخ[٣] ولا فرق بين تعديل النظم حتى يسهل على اللسان ههنا ، وبين تعديل مزاج الحروف فى التأليف هنالك .

سادساً : أشار " الرُّمَّاني " إلى مراعاة المعاني النحوية فى التأليف، وأنها ليست لها نهاية ، يقول : " .. والبيان فى الكلام لا يخلو من أن يكون باسم أو صفة أو تأليف من غير اسم للمعنى أو صفة كقولك : " غلام زيد " .. فهذا التأليف يدل على الملك من غير ذكر باسم أو صفة " ، ويضيف : " ودلالة الأسماء والصفات متناهية ، وأما دلالة التأليف فليس لها نهاية ، ولهذا صار التحدي فيها بالمعارضة تظهر المعجزة " . [٤]

---

[١] النكت ٨٧ .

[٢] الإعجاز البلاغي د/ أبو موسى ١٤٤ ، وينظر : النكت ٩٧ .

[٣] النكت ١٠٧ .

[٤] النكت ١٠٧ .

وفى هذا . أيضاً . إشارة إلى ما ذكر الإمام عبدالقاهر : " وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التى من شأنها أن تكون فيه فاعلم أن الوجوه والفروق كثيرة ليس لها غاية تقف عندها ونهاية لا تجد لها ازدياداً بعدها " . (١)

بقى . ههنا . أمر ينبغي التنبيه عليه ، وهو : أن " الباقلاني " وإن أنكر عليه ما أنكر إلا أنه يعود فيلتمس لها وجهاً ويجد له مخرجا ، يقول : " فإن كان يعني هذا القائل أنه إذا أتى فى كل معنى يتفق فى كلامه بالطبقة العالية ثم كان ما يصل به كلامه بعضه ببعض .. فهذا مما لا نأباه بل تقول به " . (٢)

" وأما الآية التى فيها ذكر للتشبيه فإن ادعى إعجازها لألفاظها ونظمها وتأليفها فإني لا أدفع ذلك وأصححه .. " ، ويضيف : " وصاحب المقالة التى حكيناها أضاف ذلك إلى موضع التشبيه وما قرن به من الوجوه ومن تلك الوجوه ما قد بينا أن الإعجاز يتعلق به كالبيان ، وذلك لا يخص بجنس من المبين دون جنس " . (٣)

أقول تلك حقائق مقررة فى كلام " الرُّمَّاني " وليست على سبيل الشك أو الادعاء كما يفهمه ظاهر قول " الباقلاني " إن كان يعني .. " وقوله : " فإن ادعى إعجازها .. إلخ ، وذلك أن البلاغة عنده ثلاث طبقات ، وأعلاها طبقة القرآن كله (٤) ، وبناءً عليه فالإيجاز عنده فى أعلى طبقة (٥) ،

(١) دلائل الإعجازص ٨٧ .
(٢) السابق ص ١٧٢ .
(٣) السابق ص١٧٢ .
(٤) ينظر : النكت ٧٥ .
(٥) النكت ٨٠ .

وكذلك التشبيه والاستعارة ، والتصريف [١] ، والمتلائم فى الطبقة العليا القرآن كله [٢] ، والذى هو فى النهاية من حسن البيان القرآن كله . [٣]

وأما الآية التى ذكر فيها التشبيه والتى أضاف إلى حسن التشبيه فيها حسن النظم وعذوبة اللفظ وكثرة الفائدة وصحة الدلالة [٤] .. فإنه لا يقتصر على التشبيه الذى جعله مثلاً يحتذى فى هذا الباب ؛ فقد جاء فى باب الإيجاز قوله : " وظهور الإعجاز فى الوجوه التي نبينها يكون باجتماع أمور يظهر بها للنفس أن الكلام من البلاغة في أعلى طبقة لإيجازه وحسن رونقه وعذوبة لفظه وصحة معناه " . [٥]

وأما ما أضيف إليه من إرادة البيان ، والذي هو ذروة الأمر وسنامه فى هذا الباب . الذي لا يختص بجنس من المبين دون جنس فإنه الأصل أيضاً فى هذا الباب . .

فالإيجاز هو " البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ " [٦] ، وهو "تهذيب الكلام بما يحسن به البيان " . [٧]

---

[١] ينظر : السابق ٨١ .
[٢] السابق ٩٥ .
[٣] السابق ١٠٧ .
[٤] السابق ٨٢ .
[٥] السابق ٧٨ .
[٦] السابق ٨٠ .
[٧] السابق ٨٠ .

والاستعارة الحسنة هي التي " توجب بيانا لا تنوب منابه الحقيقة " [١] ، "والتلاؤم فى التعديل من غير بعد شديد أو قرب شديد .. فإذا إنضاف إلى ذلك حسن البيان فى صحة البرهان فى أعلى الطبقات ظهر الإعجاز للجيد الطباع البصير بجواهر الكلام " . [٢]

والفواصل : " حروف متشاكلة فى المقاطع توجب حسن إفهام المعاني "[٣] وحسن الإفهام إنما يكون بحسن الإبانة [٤] .

والتجانس:"بيان بأصل الكلام الذى يجمعه أصل واحد فى اللغة".[٥]

وتصرف المعني فى المعاني المختلفة فيه بيان عجيب يظهر فيه المعنى بما يكتنفه من المعاني التى تظهره وتدل عليه .. إلخ . [٦]

كل هذا مما يقوي هذه الفكرة التى ادعيناها له وحاولنا إثباتها عنده، وهي أن " الرُّمَّاني " لم يكن يعني بالبلاغة فى اللفظ بل فى النظم ، وأنه لم يدرس وجهاً من وجوهها بمعزل عنه ، بل إن بعضا مما ذكره كان بمثابة الأسس التى ألهمت الإمام عبد القاهر بهذه النظرية وأصولها عنده .

٣ـ مشتبه النظم القرآني عند الإمام " الرُّمَّاني " :

لم يكتف الإمام " الرُّمَّاني " بالإشارة إلى النظم أو التصريح به حتى عرض لما تشابه منه ، معتمداً فيما عرض له ـ فى كل موضع ـ على المغزى

---

[١] النكت ٨٦ .

[٢] السابق ٩٦ .

[٣] السابق ٩٨ .

[٤] الإعجاز البلاغي أ.د/ محمد أبو موسى ١٤٤ .

[٥] النكت ٩٩ .

[٦] النكت ١٠١ .

ولب الغرض بناءً على دلالة الألفاظ فى التركيب .

يبدو هذا فى قوله . تعالى . : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ﴾[1]، وقوله . تعالى .: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ﴾ [2] .

" فكلا التشبيهين . كما يقول الشيخ . : قد أخرج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه " . [3]

والذى لا تقع عليه الحاسة . ههنا . هو أعمال الكافرين التى يظنون فيها المنفعة ثم لا تكون كذلك يوم القيامة لابتنائها على وهم خادع أو اعتقاد باطل والذى تقع عليه الحاسة هو السراب فى الأول .. الرماد فى الثاني [4] ، ، بيد أن هذه الصورة وإن كانت تشترك فى الموضع مع صورة السراب إلا أنها تختلف عنها اختلافاً دقيقاً ومهما ، وذلك فى المغزى ولب الغرض .

بيان هذا أن الصورة الأولى تهتم بتصوير اللهفة والحاجة الماسة إلى الانتفاع بهذه الأعمال ثم الخيبة والمفاجأة بخديعة الأمل وأنه ما كان إلا وهماً ، ولهذا كانت عناصرها : " الظامئ والسراب " .

---

[1] سورة النور آية (٣٩) .

[2] سورة إبراهيم آية (١٨) .

[3] النكت ٨٢ .

[4] ينظر : الصورة البيانية وقيمتها البلاغية ، د/ بسيوني عرفة رضوان ، ص : ١٢١ دار الرسالة للطباعة والنشر .

أما الصورة الثانية فإنها تهتم ببيان عدم النفع لأعمال الكافرين وأنها تصير يوم القيامة بدداً من غير أن تركز على معنى اللهفة والتعلق الذى ركزت عليه الصورة الأخرى ، وكانت عناصرها . هنا . هي : الرماد ، والريح واليوم العاصف ، وكلها كما ترى يؤكد معنى الضياع وأنهم لا يقع فى أيديهم من أعمالهم شئ ، وقد أدرك " الرُّمَّاني " ذلك وأشار إليه إشارة قريبة حين قال فى الآية الأولى : " وقد اجتمعا . أي المشبه والمشبه به . فى بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة " ، وقال فى الثانية : " وقد اجتمع المشبه والمشبه به فى الهلاك وعدم الانتفاع والعجز عن الاستدراك لما فات ، فالجامع هناك بطلان متوهم مع شدة الحاجة ، والجامع هنا هلاك وعدم انتفاع " . [1]

. وهنالك موضع آخر عرض فيه الشيخ لما نشأ به منه فى سورة يونس وهو قوله . تعالى . : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ ﴾ [2] ، وقوله . تعالى . : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ [3] .

فكلا التشبيهين كما يقول الشيخ فيه : " بيان .. قد أخرج مالم تجر به عادة إلى ما قد جرت به " . [4]

فالمشبه الذى لم تجر به العادة فى الآية الأولى هو حال الحياة

---

[1] الإعجاز البلاغي أ.د/ أبو موسى ١٠٥ ، وينظر : النكت ٨٢ .

[2] سورة يونس آية (٢٤) .

[3] سورة الحديد آية (٢٠) .

[4] النكت ٨٣ ، ٨٤ .

الدنيا فى إقبالها وبهجتها ثم توليها ، والمشبه بـه الذى قد جرت بـه العادة . ههنـا . هو : " الصورة المكونـة من مـاء ينـزل من السماء يختلط بـه نبات الأرض فيزهر النبات وتتزين به الأرض ثم يصبح فناء " [١] ، وقس على ذلك التشبيه الثاني .. " وقد اجتمعا . أي المشبه والمشبه به فى الآيـة الأولـى فـى الزينـة والبهجة ثم فى الهلاك بعده " ، وفـى الثانيـة : " فـى شدة الإعجاب ثم فى التغير بالانقلات " . [٢]

يبد أن كلا التشبيهين وإن اشتركا فى التعبير عن حال هذه الحيـاة ، واشتركا فى إبراز تلك الحال فالنبات هنا هو النبات هنالك ، والغيث هنا هو الماء هنالك ، إلا أن وجـه المفارقـة بينهمـا فـى ذلك المغزى بنـاءً علـى دلالـة الألفاظ فى التركيب ..

ذلك أنه . تعالى . ذكر فى آية يونس عقب ذكر اختلاف النبات بذلك الماء قولـه : " حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت " فناسب ذلك قولـه : " وقد اجتمعا فـى الزينـة والبهجـة " ، أمـا آيـة الحديد فذكرت : " كمثل غيث أعجب الكفار نباته " فناسب ذلك اجتماعهما فى شدة الإعجاب .. هذه واحدة .

الثانية : أن " نهايـة الحيـاة الدنيا فـى سورة يونس نهايـة وقعت مرة واحدة دون تدرج ، قال . تعالى . : ﴿ **أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ** ﴾ [٣] ، وهي نهايـة مهلكـة مبيدة مستنصلة للحياة الدنيا فلا يبقى لها أثر بعد هذه النهايـة ، وهذا ما أجملـه " الرُّمَّاني "

---

[١] الإعجاز البلاغي أ.د/ أبو موسى ١٠٧ .

[٢] النكت ٨٣ ، ٨٤ .

[٣] سورة يونس آية (٢٤) .

بقوله : ثم الهلاك بعده " . [١]

أما آية سورة الحديد فنهاية الحياة فيها نهاية متدرجة تمر بعدة مراحل ؛ لذلك شبهت نهايتها بنهاية النبات الذى لم يهلك مرة واحدة ، بل مر بعدة مراحل بدأت هذه النهاية بالهياج ، أي : " الغلظ فى اليبس " [٢] وعطف على الهياج قوله . تعالى : فتراه مصفرا " ؛ لأن اصفرار النبات مقارب ليبسه [٣] .

ثم تجيء المرحلة الأخيرة مرحلة الحطام ، وهذا التدرج فى نهاية الحياة الدنيا هو ما أجمله الرُّمَّاني بقوله : " فى التغيير بالانقلاب " [٤] .

يقول أستاذنا أ.د/ أبو موسى : " وكان " الرُّمَّاني " يقصد إلى هذا اللون من البحث حيث ساق آية يونس وآية الحديد فى قرن واحد ، وعلق على آية يونس بقوله : " وقد اجتمعا فى الزينة والبهجة ثم الهلاك بعده " وعلى على آية الحديد بقوله : " وقد اجتمعا فى شدة الإعجاب ثم في التعبير بالانقلاب ".[٥]

وهنالك موضع ثالث عرض في الشيخ لما تشابه منه وهو ما جاء في مقام التعبير عن هلاك قوم عاد بالريح الصرصر .

---

[١] مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز من الرُّمَّاني إلى عبد القاهر الجرجاني ، د/ عبدالله بانقيب ، ص : ٦٤ ، دار كنور إشبيليا للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

[٢] ينظر : تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشر / ٢٧ / ٤٠٥ ، الدار التوفيقية لنشر ١٩٨٤م .

[٣] ينظر : تفسير التحرير والتنوير ، للطاهر بن عاشور ٢٧ / ٤٠٥ .

[٤] مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز ٦٤ .

[٥] الإعجاز البلاغي د/ أبو موسى ١٠٩ .

وذلك فى قولـه . تعالى . : ﴿ إِنَّـا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِـي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ [١] .

و " .. النخل المنقعر : المنقلع من أصله الملقى على الأرض من قولهم : قعر النخلة فانقعرت ، أي : قطعت من أصلها فسقطت .. وانتزاع الناس وصرعهم بالريح ليس من الصور المألوفة بخلاف اقتلاع الجذوع وسقوطها على الأرض .. " . [٢]

وذلك . فيما أحسب . هو المراد بقولـه : " هذا بيان قد أخرج مالم تجر به عادة إلى ما قد جرت به " [٣] ، ويضيف : " وقد اجتمعا فى قلع الريح لهما وإهلاكها إياهما " . [٤]

أما قولـه . تعالى . : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [٥] ، فالنخل الخاوية : " .. هي الخالية من الحياة والنفع ، وخلو أعجاز النخل من الحياة والنفع أمر بدهي فى إدراك الناس " . [٦]

وذلك . فيما أحسب . هو المراد بقولـه : " .. هذا تشبيه قد أخرج مالا

---

[١] سورة القمر الآيتان (١٩ ، ٢٠) .

[٢] الإعجاز البلاغي ١١١ .

[٣] النكت ٨٣ .

[٤] النكت ٨٣ .

[٥] سورة الحاقة الآيتان (٦ ، ٧) .

[٦] الإعجاز البلاغي د/ أبو موسى ١١١ ، وينظر : القاموس المحيط للفيروز آبادي ٤ / ٣٥٦ ن : دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

يعلم بالبديهة إلى ما يعلم وقد اجتمعا فى خلو الأجساد من الأرواح " . [١]

إن الذي سوغ ذلك التباين بناءً على التغاير فى الوصف هو أن تلك تصور بداية الهلاك وحيث كانت الريح تنزع وتدفع وتدمر ، فالجثث تصور من خلال حركة الدفع العنيفة بأعجاز النخل المنزوعة من مغارسها ، أما هذه فتصور نهاية الهلاك وقد أصبح القوم صرعى واستقرت الجثث الهاكلة صوراً مدفوعة بالبديهة ولا تتبين من أول وهلة ، ولذلك شبهها بما له في الذهن صورة واضحة تدرك بالبديهة . أعجاز النخل الخاوية . أي : الحقيقة الفارغة التي نخرت فيها الريح " . [٢]

ونخلص من هذا ، وسابقه إلى ما يلي :

أولاً : أن " الرُّمَّاني " لم يكتف فيما عرض له بالإشارة إلى النظم أو التصريح به من دون أن يعرض لما تشابه منه .. والدليل على ذلك " جمعه بين الصور المتشابهة " [٣] في قَرَنٍ واحد ، وذلك على نجو جمعه تشبيه أعمال الكافرين في موضعيه تحت إخراج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه ، وقس على ذلك الموضع الثاني .

أما هلاك قوم عاد فهو وإن اختلف فى ذلك الإخراج فهو يتحد فى ذلك الغرض العام وهو هلاك هؤلاء القوم بهذه الريح .

ثانياً : اتخذ الشيخ من وجه الشبه وسيلة رئيسة للتفرقة بين الصور

---

[١] النكت ٨٤ .

[٢] الصورة بين القدماء والمعاصرين دراسة بلاغية ونقدية د/ محمد إبراهيم شادي ١٩ ، ٢٠ مطبعة السعادة ، ط أولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

[٣] مناهج التحليل البلاغي ٦٢ .

التى تتحد فى ملامحها العامة [١] ، معتمداً فى ذلك على دلالة الألفاظ فى التركيب ، وإلا فما الذى أوجب أن يكون الوجه بطلان المتوهم .. [٢] فى موضع، والهلاك وعدم الانتفاع .. إلخ [٣] فى موضع آخر لولا ذكر " السراب " تارة ، والرماد تارة أخرى ؟ .. وقس على ذلك الموضع الثاني والثالث .

بل إن تلك المغايرة هي التى أوجبت أن يكون المغزى من التشبيه والهدف منه هو : إبراز تلك الخيبة بعد تلك اللهفة فى آية السراب [٤] ، وإبراز تلك الحسرة فى آية الرماد [٥] ، بل هي التى كشفت عن موطن " العبرة لمن اعتبر والموعظة لمن تفكر فى أن كل فان حقير وإن طالت مدته وصغير وإن كبر قدره فى آية يونس [٦] ، وهي التى أشارت إلى الاحتقار للدنيا والتحذير من الاغترار بها والسكون إليها " فى آية الحديد " [٧] ، وهي التى دلت على " ... عظم القدرة والتخويف من تعجيل العقوبة " فى آية القمر " [٨] [٨] ، " الاحتقار لكل شيء يؤول به الأمر إلى ذلك المآل فى " آية الحاقة " . [٩] .

---

[١] ينظر : مناهج التحليل البلاغي ٦٢ ، ٦٦ .

[٢] ينظر : البحث ص٧٤٣٩ .

[٣] ينظر : البحث ص ٧٤٤٠ .

[٤] النكت ٨٢ ، وينظر : الإعجاز البلاغي ١٠٥ .

[٥] النكت ٨٢ .

[٦] السابق ٨٣ .

[٧] السابق ٨٤ .

[٨] السابق ٨٣ .

[٩] السابق ٨٤ .

هذا ولم يقتصر الشيخ على ما جاء منه فى هذا الباب ، بل عرض لما تشابه منه . أيضاً . فى باب التصريف . [١]

كل هذا وغيره مما ذكره " الرُّمَّاني " مالم يذكره سببه والباعث عليه هو ذلك التباين بين دلالة الألفاظ فى تلك الأساليب وإلا لاستوى كل موضع يرد فيه وحاشا لله وكلا : وهو الكتاب الذى ﴿ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [٢] .

٤ـ أسس التعبير الجمالي عند الإمام " الرُّمَّاني " :

تكمن أسس التعبير الجمالي عند الإمام " الرُّمَّاني " فى اللفظ ، والمعنى ، والنظم يبدو ذلك من تعريفه للبلاغة والتى هي عنده : " إيصال المعنى إلى القلب فى أحسن صورة من اللفظ " [٣] ، إذ لا يعقل بحال أن يكون المراد باللفظ . ههنا . اللفظ المفرد فحسب . بل المراد باللفظ . ههنا . هو : النظم [٤] ؛ وذلك أن قوله . تعالى . : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ﴾ [٥] ، قد تضمن مع حسن التشبيه كما يقول الشيخ : " حسن النظم، وعذوبة اللفظ ، وكثرة الفائدة ، وصحة الدلالة " . [٦]

---

[١] ينظر : البحث ص ٧٥٢٥ .

[٢] سورة هود الآية (١) .

[٣] النكت ٧٥ .

[٤] ينظر : أثر القرآن فى تطور النقد العربي ٢٣٦ .

[٥] سورة النور آية (٣٩) .

[٦] النكت ٨٢ .

والتشبيه البليغ هو الذى يخرج فيه الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف . [١]

ـ وكما لا يعقل بحال أن يكون المراد باللفظ . ههنا . اللفظ المفرد فحسب ، كذلك لا يعقل بحال أن يكون اللفظ حسناً والمعنى قبيحاً ، حاشا الله وكلا وهو الباحث فى بلاغة الإعجاز ، بل إن حسن اللفظ موجب لحسن المعنى .

ففى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ [٢] ، كل ما فى قولهم : " القتل أنفى للقتل " كما يقول الشيخ " وزيادة معان حسنة منها : إبانة العدل بذكره القصاص ، وإبانة الغرض المرغوب فيه بذكر الحياة ، واستدعاء الرغبة بالرهبة لحكم الله به " . [٣]

والفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني . [٤]

ومما يؤيد هذا أيضاً ـ قوله : " ... وظهور الإعجاز فى الوجوه التى بينها يكون باجتماع أمور يظهر بها للنفس أن الكلام من البلاغة في أعلى طبقة وإن كان يلتبس فيما قل بما حسن جداً لإيجازه وحسن رونقه وعذوبة لفظه وصحة معناه " . [٥]

---

[١] النكت ٨١ .

[٢] سورة البقرة آية (١٧٩) .

[٣] النكت ٧٧ .

[٤] السابق ٩٧ .

[٥] السابق ٧٨ .

بيد أن هذه وإن كانت أسساً عامة فى الوجوه التى ذكرها " الرُّمَّاني " والوجوه التى لم يذكرها إلا أن لكل منها سمات جمالية ينفرد بها عما سواه .

وعلى الجملة فإن بلاغة القرآن فى أعلى طبقات البلاغة فى الحسن كما يقول الشيخ ، ولما كانت كذلك كانت معجزة للناس كافة عربهم وعجمهم كما أن الشعر المُفْحِم معجز للشاعر المُفْحَم الذى ليس فى استطاعته قول الشعر . (١)

٥ـ مفهوم البلاغة عند " الرُّمَّاني " يهدف إلى هذه التسمية :

يكمن مفهوم البلاغة عند " الرُّمَّاني " فى : " إيصال المعنى إلى القلب فى أحسن صورة من اللفظ " . (٢)

وهذا التعريف كما يقول د/ زغلول سلام " يهدف إلى تحقيق معنين:

أحدهما : متعلق بالأثر النفسي للبلاغة وهو " إيصال المعنى إلى القلب " . (٣)

---

(١) ينظر : النكت ٧٦ .

(٢) السابق ٧٥ .

(٣) أثر القرآن فى تطور النقد العربي ٢٣٦ .

. وقد عد الإمام الخطابي الأثر النفسي وجهاً من وجوه الإعجاز ، يقول : " قلت فى إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم ، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره فى النفوس ، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة فى حال ، ومن الروعة والمهابة فى أخرى ما يخلص منه إليه .

بيان إعجاز القرآن للخطابي ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن الكريم ، ص٧٠ ، ط : دار المعارف .

والثاني : متعلق بالأسلوب أو الصورة البيانية للبلاغة من اللفظ والصياغة والنظم : " فى أحسن صورة من اللفظ " . [١]

ـ ولكي يحقق الرُمَّاني " نظرته من أن البلاغة تهدف إلى تحقيق المعنيين الأثر النفسي وجمال التعبير جعل البلاغة عشرة أقسام هي: " الإيجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس ، والتصريف ، والتضمين ، والمبالغة ، وحسن البيان " ، وعرض لتفسير هذه الأقسام العشر من خلال آيات القرآن الكريم ، مبيناً فى أكثر ما عرض له الأثر النفسي الذى حملته الآية المستشهد بها ، والآداء الفني الذى اتسمت به ، وجمال التعبير الذى شملها .

ومن خلال عرضه لهذه الأقسام كان يقارن فى بعض الأحيان بين ما جاء به العرب ، وما جاء به القرآن ، وكان يوضع مدى التفاوت الكبير بين آي القرآن وبين ما جاء من بليغ القول عن العرب ، وتنتهي به النتائج إلى أن القرآن فيه من روعة البيان وجمال التعبير وبراعة النظم ! مالا يسموا إليه أي تعبير آخر [٢] ؛ وذلك ما يبدو فى مباحث النظم القرآني عند الإمام الرُمَّاني .. فى الصفحات الآتية .

---

[١] أثر القرآن فى تطور النقد العربي ٢٣٦ .

[٢] دراسات حول الإعجاز البياني د/ المحمدي الحناوي ص : ١٣٧ .

مباحث النظم القرآني عند الإمام " الرُّمَّاني "
بين الأثر والنفسي والتعبير الجمالي

المبحث الأول

الإيجاز القرآني عند الإمام " الرُّمَّاني "

بين

الأثر النفسي والتعبير الجمالي

الإيجاز عند " الرُّمَّاني":" تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى" . [١]

والمقصود يقول " الرُّمَّاني " من غير إطلال بالمعنى ، أي : من غير إهمال لخصائصه ودقائقه . [٢]

والذي لاشك فيه أن " الكلام إذا كان موجزاً دون إخلال ومؤدياً للغرض ، وموصلاً للمعنى بأقصر عبارة ، كان أدعى للمحافظة على نشاط نفس المتلقي فى متابعته ، وأبعاد السأم والملل عنها ، وعندئذ يكون النص أكثر قدرة على التأثير والإثارة " . [٣]

هذا بالإضافة إلى أن " .. المتلقي للكلام الموجز .. وبالنفس مزيد من نشاط وفضل من حيوية ، فإنه يكون أكثر تهيئاً للاستجابة المناسبة والتفاعل مع النص،ويكون المعنى فى نفسه أوقع،ولصدره أملى .. " . [٤]

ليس ذلك فحسب . بل إن كل معنى رفيع إذا وصل إليه لفظ وجيز مع

---

[١] النكت ٧٦ .

[٢] الإعجاز البلاغي أ.د/ أبو موسى ، ص : ٩٠ .

[٣] الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية د/ مجيد عبد الحميد ناجي ، ص : ١٢٧ ، ن : المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

[٤] السابق ١٢٧ ، ١٢٨ .

وضوحه فى الدلالة عليه ؛ فإنه ينتشر بين الناس ويتلقونه لخفته ، وسهولة حفظه وقرب مأخذه ... " . [١]

والإيجاز عند الرُّمَّاني على وجهين :

. حذف ، وهو إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام .

. وقصر ، وهو بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف . [٢]

وهناك وجه ثالث ، وهو الذى يكون : " بإظهار الفائدة بما يستحسن دون ما يستقبح لأن المستقبح ثقيل على النفس " . [٣]

وهذا الضرب من الإيجاز لا يتعلق بالألفاظ قلة وكثرة ، وإنما يتعلق بموقع الكلام فى النفس وإحساسها به خفة وثقلاً ، إقبالاً أو إعراضاً ... [٤] وهذا إن دل فإنما يدل على أن الأساليب المتعثرة المستكرهة ليست من الإيجاز وإن قلت ألفاظها ، والأساليب الصافية العذبة من الإيجاز وإن كانت ألفاظها أكثر من الأولى " . [٥]

ويضيف أستاذ د/ أبو موسى : " وليس هذا الوجه الذى لا يلتفت إلى كم الألفاظ خارجاً عن الإيجاز الذى هو الاقتصاد فى استعمال الكلمات ؛ لأن

---

[١] الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية د/ مجيد عبد الحميد ناجي ، ص : ١٢٧ ، ١٢٨ .

[٢] النكت ٧٦ .

[٣] السابق ٧٩ .

[٤] الإعجاز البلاغي أ.د/ أبو موسى ، ص : ٩٥ .

[٥] السابق ص٩٥ .

حسن الأسلوب وخفته على النفس لا يتوفر له إلا إذا كان نقياً من الأخلاط غير مترهل ولا ممدود " . [١]

. ومن الحذف عند الشيخ : " .. حذف الأجوبة وهو أبلغ من الذكر .. كقوله . جل ثناؤه . : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ المَوْتَى بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً ﴾ [٢] .

يقول " الرُّمَّاني " : " كأنه قيل : لكان هذا القرآن " ، ويضيف : " وإنما صار الحذف فى مثل هذا أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب فيه كل مذهب ولو ذكر الجواب لاقتصر على الوجه الذى تضمنه البيان " . [٣]

فكلام الشيخ . ههنا . واضح وصريح فى أن . ههنا . جواب شرط محذوف ، وهو مقدر بقوله " لكان هذا القرآن " ، هذه واحدة ..

الثانية : أن هذا الأسلوب قد جمع بين جمال التعبير وبراعة التأثير .

أما الأول فهو مفاد من قوله : " وهو أبلغ من الذكر ، وقوله : " وإنما صار الحذف فى مثل هذا أبلغ من الذكر " ، أي : " أحسن منه أجمل " . [٤]

---

[١] الإعجاز البلاغي أ.د/ أبو موسى ٩٥ .

[٢] سورة الرعد آية (٣١) .

[٣] النكت ٧٦ ، ٧٧ .

[٤] .

وجمال التعبير ـ ههنا ـ يكمن فى الاكتفاء بذلك الشرط المذكور وجعله دليلاً على ذلك الجواب المحذوف . [١]

أما داعي التأثير فى النفس فذلك ما يبدو فى أمرين :

الأول : فيما يكتنفه من إبهام وغموض ، ولكن ليس هو الغموض الذى يصل إلى حد التعمية أو الألغاز أو الإبهام ، بل هو الغموض الذى يحرك النفس ويجعلها تتشوق إلى معرفة المحذوف فإذا ظهر صادق منها قبولاً وارتاحت له واهتزت " . [٢]

وما ههنا أيضاً ـ كذلك ، ذلك أنه لما قال ـ سبحانه : " ولو أن قرآنا سيرت به الجبال .. " الآية تطلعت النفس إلى أن ههنا ـ جواب شرط محذوف ، فلما عثر على أنه ذلك القرآن أحدث فيها بهجة وارتياحاً " . [٣]

الثاني : وهو مضاف إلى سابقه التوسع الدلالي للإيحاء . [٤]

ويتمثل فى فتح باب التخيل والاحتمال على مصراعيه أمام المتلقي فيفيد منه بحسب خبرته ويتخيل من الصور والمعاني بحسب ما يمكن أن يوحي به النص وينسجم معه . [٥]

وما ههنا ـ أيضاً ـ كذلك كأن يقال فى تقديره مثلاً : " لكان هذا القرآن

---

[١] ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ، تحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي ٣ / ١٤٨ ن : عالم الكتب ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

[٢] تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني ، د/ عبد العزيز عرفه ، ص٦٨ ، ن : نوادر الطباعة المحمدية ، ط أولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٤م .

[٣] ينظر : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ١٢٩ وما بعدها .

[٤] ينظر : السابق ١٢٩ وما بعدها .

[٥] الأسس النفسية د/ مجيد ناجي ١٢٩ .

، أو لما آمنوا ، أو لكفروا بالرحمن ، أو لو أن قرآنا سيرت به الجبال لسارت ، أو قطعت به الأرض لقطعت ، أو كلم به الموتى لكلموا .. إلخ " [١] . [*]

هذا التوسع الدلالي لذلك الإيحاء لا يبلغ فى النفس ذلك المبلغ أن لو ذكر الجواب ، ذلك أن الأسلوب لو أتى بالجواب مذكوراً غير محذوف وإن كان يقع فى النفس موقعاً حسناً لأصبح واضحاً مكشوفاً ، وعندئذ سرعان ما يزول الأثر بزوال المؤثر ، وهذا بخلاف الأسلوب الذى يظلله الظلال فيشغل الذهن وقتاً أطول تتكشف فيه معانيه واحداً أثر الآخر ويظل آناء ذلك مشغولاً بلذة المعنى " . [٢]

هذا التوسع الدلالي لذلك الإيحاء يبعث فى النفس جانب التعظيم

---

[١] ينظر : جامع البيان فى تأويل القرآن لابن جرير الطبري ١٦ / ٤٥٥ ، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .

[*] ورغم أن الشيخ هو الذى ذكر أن النفس تنهب فى تقدير ذلك الجواب كل مذهب ممكن مما يحتمل هذا وزيادة إلا أنه لم يذكر من تلك الأجوبة إلا جواباً واحداً وهو : " لكان هذا القرآن" وذلك كما يقول الشهاب " لأنه الغاية فى الإعجاز والنهاية فى التذكير والإنذار " [*]، أو " لما فيه من الدلالة على أن هذا القرآن . كما يقول أستاذ د/ أبو موسى " من القوة والطاقة الهائلة ما يجعله أقوى من الجبال والأرض والحياة والموت ، فهو كلام تسير به الجبال لأنه أقوى منها ، وتقطع به الأرض كذلك ، وتبطل به أعظم النواميس وأجلها وأغمضها حين تكلم به الموتى ، والكلام الذى هنا حاله لابد أن يكون كلاماً ذا قدرة فوق الجبال والأرض والكون ، ولا يكون هذا إلا كلام الله ، لأن الكلمة إنما تحمل طاقة قائلها ، ولا يكون كلام يحمل هذه القدرات الهائلة منبعثة به نفس ليس لها هذه القدرات " .

[*] حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٥ / ٤١٦ ، ن : دار الكتب العلمية بيروت ط : أولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

[**] الإعجاز البلاغي د/ أبو موسى ٩٢ .

[٢] ينظر : أثر القرآن فى تطور النقد العربي ١٢١ .

لشأن القرآن ويفضي عليها جلالاً وخشية ، كما يبعث فيها جانب التفظيع من شأن هؤلاء الكفرة الذين بلغوا فى العناد مبلغاً جعلهم يكفرون بالرحمن، ويعرضون عن الإيمان ، وذلك يدعو إلى التنفير منهم .

ومما يؤيد هذا قول البيضاوي ـ رحمه الله ـ فى ذلك الجواب المحذوف " شرط حذف جوابه ، والمراد منه تعظيم شأن القرآن ، أو المبالغة فى عناد الكفرة وتصميمهم " . (١)

ـ ومما هو جار على تلك الطريقة ـ أيضاً ـ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ (٢).

يقول " الرُّمَّاني " : " كأنه قيل : حصلوا على النعيم المقيم الذى لا يشوبه التنغيص والتكدير ... وإنما صار الحذف فى مثل هذا أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب فيه كل مذهب (*)... إلخ " (٣) ، هكذا يقول الشيخ ، وهذا إن دل فإنما يدل على أن إيجاز الحذف يحدث أثراً فى نفس المتلقي ، وذلك لما يتركه من مساحات دلالية أكثر توسعاً ؛ لأن بالذكر تتحدد الدلالات ولا مجال للبحث عن دلالات أخرى خارج المذكور (٤) ، وما ههنا ـ أيضاً ـ كذلك ، فقد عدلت الآية " عن ذكر تفصيلات النعيم والثواب والملذات دون حصر أو تحديد جزاء ما قدموه من أعمال صالحة فى دنياهم ، ولو نصت الآية على

(١) تفسير البيضاوي متن حاشية الشهاب ٥ / ٤١٦ .

(٢) سورة الزمر آية (٧٣) .

(*) كأن يقال مثلاً : دخلوا الجنة ، ولبسوا الحلل ، سكنوا الغرف ، أكلوا من ثمارها ، شربوا من أنهارها ، تزوجوا من حورها ، وهكذا .

(٣) النكت ٧٦ ، ٧٧ .

(٤) مناهج التحليل البلاغي د/ عبد الله بانقيب ٨٠ .

ذلك النعيم لحصرت النفس أمام شئ محدد دون أن يفسح لها المجال إلى توقع أكثر مما نص عليه " . [١]

" وأما الإيجاز بالقصر .. فهو أغمض من الحذف . وإن كان الحذف غامضاً . للحاجة إلى العلم بالمواضع التى يصلح فيها من المواضع التى لا يصلح " [٢] ، هكذا يقول الشيخ .

بيد أن الغموض وإن كان يحرك النفس فى الإيجاز بالحذف .. ويجعلها تتشوق إلى معرفة المحذوف فإذا ظهر أحدث فيها بهجة وارتياحاً ، فإنه . ههنا . أولى وأحرى ، إذ كلما قاد التعبير إلى معنى تطلعت النفس إلى ثان وثالث وهكذا ..

وهذا بالطبع يقودنا إلى داعٍ آخر من دواعي التأثير فى النفس وهو داعي التكثيف للمعاني . [٣]

ولا أدل على ذلك من تلك المقارنة بين قول الله . تعالى . : ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ** ﴾ [٤] ، وقول العرب : " **القتل أتقى للقتل** " ، والتى تتمثل فى أن قول الله . تعالى . كما يقول " الرُّمَّاني " : " .. فيه كل ما فى قولهم وزيادة معان حسنة ، منها : إبانة العدل بذكره القصاص ، وإبانة الغرض المرغوب فيه بذكره الحياة .. والاستدعاء بالرغبة والرهبة لحكم الله به " . [٥]

---

[١] السابق ٨٠ .

[٢] النكت ٧٧ .

[٣] ينظر : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ١٢٨ .

[٤] سورة البقرة آية (١٧٩) .

[٥] النكت ٧٧ .

هذا العدل الذى يبين عنه ذكر القصاص لا يبعث فى النفس جانب الارتداع أو الترهيب عن القتل فحسب ، بل يبعث فيها ـ أيضاً ـ الارتداع عن القتل والجرح وغيرهما .. [١]

كذلك لا يبعث فيها جانب الترغيب فى مطلق الحياة ، بل يبعث فيها نوعًا من الحياة مخصوص كما هو مفاد التنكير [٢] ، تلك الحياة الآمنة المطمئنة الكامنة فى ظلال عدل الله ... وأن تلك الرغبة إنما تستدعي فى النفس بتلك الرغبة عند ذكر القصاص ..

وعلى كلّ ، ففي " .. الآية من براعة العبارة وبلاغة القول ما يذهب باستبشاع إزهاق الروح فى العقوبة ويوطن النفوس على قبول حكم المساواة ؛ إذ لم يسم العقوبة قتلاً وإعداماً ، بل سماها مساواة بين الناس تنطوي على حياة سعيدة لهم " . [٣]

إذا كان ذلك كذلك فهل يستوى هو وقول الله ـ عز وجل ـ وهل يبلغ قولهم فى الحسن ذلك المبلغ ؟ الجواب : بالطبع لا ..

إن قولهم لا بين عن معنى العدل الذى أبان عنه ذكر القصاص ، لأن القتل ظلماً قتل وعليه فلا يكون مانعا للارتداع عن القتل ، بل قد يكون مدعاة إلى الجور فيه [٤] ، كما أنه لا ينص على الغرض المرغوب فيه بذكر " الحياة " وإن " أفهم " لا يُفهم إلا نوعاً من الحياة مخصوص ، تلك الحياة

---

[١] السابق ٧٧ ، وينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي ٥ / ٤٩ ، ن : دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ٢٠٠٠م ، وتفسير المنار للشيخ / رشيد رضا ٢/ ١٠٦ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م .

[٢] ينظر : تفسير المنار ٢ / ١٠٦ .

[٣] ينظر : السابق ٢ / ١٠٧ .

[٤] ينظر : التفسير الكبير ٣ / ٢٤٤ .

التى تتمثل فى ترك الروح فى الجسد [١] ، وتلك الحياة يشترك فيها الإنسان وغير الإنسان ..

إن قولهم لا تستدعي فيه الرغبة وهي الحياة بتلك الرغبة وهي القصاص بل فيه استدعاء بالرهبة فقط .

لهذا ولغيره كان قول الله تعالى ـ فى أعلى طبقات البلاغة فى الحسن ، وظهر الإعجاز فيه " لإيجازه وحسن رونقه ، وعذوبة لفظه ، وصحة معناه " كما يقول " الرُّمَّاني " ... . [٢]

[١] ينظر : وحي القلم ، مصطفى صادق الرافعي ٣ / ٤٠٥ ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان .

[٢] النكت ص ٧٨ .

المبحث الثاني

التشبيه القرآني عند الإمام " الرُّمَّاني "

بين

الأثر النفسي والتعبير الجمالي

التشبيه عند " الرُّمَّاني " هو : " .. العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الأخر فى حس أو عقل " [١] ، وليبلغ منه هو " .. إخراج الأغمض إلى الأظهر بأداة التشبيه مع حسن التأليف " . [٢]

وذلك يعني : " .. أن الغرض الأهم من التشبيه البليغ هو تحقيق الإيضاح والبيان ، وأنه يستحق وصف البليغ مع وجود الأداة ، وأن جمال التشبيه لا يكتمل إلا بحسن التأليف والصياغة " . [٣]

ثم يذكر الشيخ أن : " .. الأظهر الذى يقع فيه البيان بالتشبيه على وجوه منها : إخراج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة ، ومنها إخراج مالم تجر به عادة إلى ما قد جرت به عادة ، ومنها إخراج مالا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة ، ومنها إخراج مالا قوة له فى الصفة إلى ما له قوة فى الصفة ".[٤]

ومن هذا يتبين أن سر جماله . على اختلاف وجوهة بالإضافة لما سبق . هو داعي تأثيره : ذلك أنك إذا تأملت قوله : " إخراج الأغمض إلى

---

[١] النكت ٨٠ ، ٨١ .

[٢] السابق ٨٠ ، ٨١ .

[٣] بيان التشبيه د/ عبد الحميد العيسوي ، ص : ٩٨ ، ط : أولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م

[٤] النكت ص٨١ .

الأظهر " فى التشبيه البليغ تجده هو قول الإمام عبد القاهر فى أسباب تأثير التمثيل فى النفس : " أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي " ، وقول الرُّمَّاني : "إخراج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه " هو قول عبد القاهر " نحو أن تنقلها من العقل إلى الحس " ، وقول الرُّمَّاني: " إخراج مالا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة " هو قول عبد القاهر : " وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع " . (١)

هذا " والذى يتتبع صور التشبيه فى القرآن الكريم يجدها لم تقف عند مجرد تسجيل وجوه الشبه المادية بين الأشياء وبعضها فحسب ، بل إنها قد تجاوزتها إلى المماثلة النفسية ... " .

ولقد كان من أوائل الذين تنبهوا إلى ما فى صور التشبيه من أثر النفس والحس معاً أبو الحسن الرُّمَّاني أحد أولئك الأعلام السابقين فى دراسة الإعجاز القرآني ؛ حيث قسم التشبيه بالاعتبارين : الحسي والنفسي، إلى أربعة أقسام ، وتبعه فيها كل من أبي هلال العسكري وابن أبي الأصبع المصري .. (٢)

(١) ينظر : الإعجاز البلاغي أ.د/ أبو موسى ٩٩ ، ١٠٠ ، أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني تحقيق الشيخ / محمود شاكر ، ص١٢١ ، ن : دار المدني بجدة ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

(٢) النقد الأدبي ، دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن أ.د/ صلاح الدين عبد التواب ص:دار الكتاب الحديث ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م ، وينظر : كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري تحقيق د/ مفيد قميحة ، ص٢٦٣ : ٢٦٤ ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط : ثانية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، وبديع القرآن لابن أبي الإصبع المصري ، تحقيق د/ حفني شرف ص٥٨ ، ٥٩ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر .

ومما يشهد لذلك تعليقه على قوله . تعالى . : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ﴾ [1] .

يقول : " .. هذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه وقد اجتمعا فى بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة ، ولو قيل: يحسبه الرائي ماءً ثم يظهر أنه على خلاف ما قدر لكان بليغاً وأبلغ منه لفظ القرآن ؛ لأن الظمآن أشد حرصاً عليه وتعلق قلب به ، ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذى يصبره إلى عذاب الأبد تعوذ بالله من هذه الحال " ، ويضيف : " وتشبيه أعمال الكافرين بالسراب من حسن التشبيه فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم وعذوبة اللفظ ، وكثرة الفائدة ، وصحة الدلالة " [2] ، انتهى كلام الشيخ . رحمه الله . .

فـ : " .. الرُّمَّاني فى هذا يدرس التشبيه من عدة جهات :

أولاً : النظر إلى ما فيه من عنصر البيان والكشف ؛ فقد أبرز هذا التشبيه الأمر الذى يدرك بالفكر فى صورة ما يدرك بالحس ، فأعمال الكافرين الذين يأملون نفعاً كالإحسان ، وصلات ذى القربى .. إلخ ، لا يجدون لها جزاء يوم القيامة حينما يكونون فى أشد الحاجة إلى هذا الجزاء هذه الحالة أبرزها التشبيه فى صورة محسوسة هي صورة السراب الذى يخيل فى الصحراء أنه ماءً يتعلق به الظامئ والملهوف ، وكلما جد فى الوصول إليه اشتد ظمؤه ، وتحرقه حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ويفجؤه هول رهيب " . [3]

---

[1] سورة النور آية (٣٩) .

[2] النكت ٨٢ .

[3] الإعجاز البلاغي . أ.د/ محمد أبو موسى ، ص ١٠١ ، ١٠٢.

ثانياً : استخراج الصفة المشتركة التى تجمع الطرفين ويكمن فيها المغزى وهو قوله : " وقد اجتمعا فى بطلان المتوهم .. إلخ " . [١]

" ويتضح من خلال تحليل " الرُّمَّاني " لوجه الشبه وبيانه أنه لم يقف به عند ذلك الحد ، بل امتد إلى الأثر النفسي لكل صورة من صور التشبيه التى تعرض لها ، وكأنه يومئ بذلك إلى أن ما يحدثه التشبيه فى نفس متلقيه إنما هو الغرض الأسمى من استخدام هذه الوسيلة البيانية والذى يعد الحديث عن الطرفين والوجه وسيلة إليه " . [٢]

وعلى هذا فـ " صورة الظامئ والسراب جيء بها هنا لتؤكد فى النفس عدم انتفاع الكافر بشئ من هذه الأعمال مع شدة تلهفه إلى هذا النفع ، وقد تمثل هذا فى تحرق الظامئ وشدة حاجته إلى الماء ، وانخداعه بالسراب وكده نحوه ، ثم خيبة أمله فى الحصول على ما يريد ، وقد ركز الرُّمَّاني ذلك فى عبارة أدق من كلامنا حين قال : " وقد اجتمعا فى بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة " . [٣]

ثالثاً : النظر فى العناصر التى تتكون منها الصورة ؛ لأن الدقة فى اختيار هذه العناصر هي التى تكسب الصورة ثراء وخصوبة ، وتجعلها أقدر على التعبير والإيحاء ، وبمقدار شمول الدلالة واستيعابها وقدرتها على الإشارة والوحي تكون منزلة التشبيه وبلاغته .

وانظر إلى الرُّمَّاني وهو يشير إلى فحص هذه العناصر واستيعابها بقوله " .. ولو قيل : يحسبه الرائي ماءً ثم يظهر أنه على خلاف ما قدر

---

[١] الإعجاز البلاغي أ.د/ أبو موسى ١٠١ ، ١٠٢ .

[٢] السابق ١٠١ ، ١٠٢ .

[٣] السابق ١٠٢ .

لكان بليغاً ، وأبلغ منه لفظ القرآن ؛ لأن الظمآن أشد حرصاً عليه وتعلق قلب به " . [١]

" الظامئ يكسب الصورة عمقاً بما يوحي به من معنى اللهفة والتحرق وشدة الحاجة ثم التخاذل وشدة الإعياء ، ولا ريب أن النظر فى اختيار عناصر التشبيه من أهم ما يعين على استخراج مضمر دلالاته من خفي الخواطر ودقيق الأحوال والمواجر " . [٢]

رابعاً : البحث فى الصياغة ودراسة ما فيها من خصائص تفصح عن خفايا المعاني ثم ما تتصف به من سلاسة أو عذوبة ، فجلال التشبيه فى الآية الكريمة كما قال يرجع . أيضاً . إلى " حسن النظم وعذوبة اللفظ وكثرة الفائدة وصحة الدلالة " . [٣]

هذا وإذا راجعنا صياغة الآية الكريمة لنستخرج منها هذه الصفات نجد فيها التنكير فى كلمة " سراب " منبئاً عن سراب ضئيل تافة ، وتظهر هذه الإشارة الدقيقة حين تذهب بهذه الصيغة وتقول أعمالهم كالسراب ، ووراء ذلك ما وراءه من تعلق هذا الظامئ المتحرق بالأمل وإن كان ضعيفاً تافهاً ، ثم هذه الكاف التى تجعل هذه الأعمال فى مرتبة أدنى من مرتبة السراب ووراء ذلك استخفاف بها وازدراء لها ، ثم وقوع كلمة " شيئا " مفعولاً به لقوله " لم يجده " وكان يمكن أن يقول : " لم يجد ماءً ، ولكن كلمة "شيئاً " جعلته عدماً مطلقاً ، ثم فى ذكر ضمير السراب حين قال : " لم يجده " وكان يمكن أن يقول : " لم يجد شيئا " لكن الضمير نص على الأمل المنشود وصيَّره عدماً وفى ذلك إبراز للمغزى وخيبة الأمل ، وشئ أخر فى هذه الهاء

---

[١] الإعجاز البلاغي أ.د/ أبو موسى ١٠٢ ، وينظر : النكت ٨٢ .

[٢] الإعجاز البلاغي ١٠٣ .

[٣] السابق ١٠٣ .

هو : تهيئة الكلام لقوله بعد ذلك : " ووجد الله عنده " ؛ لأنه لو قال " شيئا " بدون الهاء لكان تناقضاً مع قوله " ووجد الله عنده " ، ثم فى كلمة " حتى " التى تشير إلى نهاية رحلة شاقة ومعاناة طويلة يجهده فيها الظمأ ويحفزه إليها الأمل ، ثم فى هذا الشرط الذى ربط العدم بالسعي وجعله جواباً ونهاية له ، ثم أن القصة لم تنته بعد وإنما هناك هول مذهل يصوره قوله " ووجد الله عنده فوفاه حسابه " ، ولك أن تنظر إلى قوله: " ووجد الله " والأصل عذاب الله وجزاءه ، ولكن التعبير أفاد أنه وجددا الجلال . سبحانه . وفى ذلك من الرهبة ما فيه ، وخاصة أن هذا الكافر ينكر وجود الله ثم بفجأه هذه الحقيقة وهو فى تلك اللحظات القاهرة ، وانظر إلى هذه الفاء فى قوله " فوفاه حسابه " وما تشير إليه من سرعة الكفح ونزول العذاب ، ثم انظر إلى إسناد التوفية إلى ضمير ذى الجلال والله هو الذى يتولى تعذيبه بنفسه وفيه من الدلالة على شدة الغضب ما فيه ثم تأمل كلمة حسابه وما تشير إليه من الإنصاف ، فكل ما أشار إليه الكلام من الرهبة وسرعة المكافحة بالعذاب وشدة الغضب ليس فيه مجاوزة وإنما هو بحساب دقيق " . [1]

" هذه هي الحدود التى رسمها الرُّمَّاني لدراسة صور التشبيه ، ولا تظن أننا تزيدنا فى الاستخراج من كلامه وأضفنا إليه مالا يفيده ؛ لأننا ننظر هنا إلى مقالة الشيخ عبد القاهر فى وصف كلام أهل العلم فى هذا الشأن وأنه كالتنبيه على مكان الخبيئ ليطلب وموضع الدفين ليبحث عنه ، وكما يفتح لك الطريق لتسلكه ، وتوضع لك القاعدة لتبني عليها " . [2]

. ونظير ما سبق تعليقه . أيضاً . على قوله . تعالى . : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ

[1] الإعجاز البلاغي أ.د/ أبو موسى ١٠٣ ، ١٠٤ .

[2] السابق ١٠٤ ، وينظر : الدلائل ٣٤ .

عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ﴾ [1] .

يقول أبو الحسن : " هذا بيان قد أخرج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه ، فقد اجتمع المشبه والمشبه به فى الهلاك وعدم الانتفاع والعجز عن الاستدراك لما فات ، وفى ذلك الحسرة العظيمة والموعظة البليغة " . [2]

والذى لا تقع عليه الحاسة . ههنا . هو أعمال الكافرين من حيث إنها تذهب بدداً لا ينتفعون بشيء منها ، فقد تمثل هذا المعنى فى صورة الرماد الذى تعصف به الريح وتذهب به فى جهات هبوبها ولا يبقى منه شيء ، والمعنى الذى يشترك فيه كل من الطرفين كما قال الشيخ هو : " الهلاك وعدم الانتفاع والعجز عن الاستدراك لما فات " . [3]

ودرس الشيخ للطرفين والوجه على هذا النحو إنما هو كالتوطئة والتمهيد لما يوحي به فى النفس من تلك الحسرة ، وهذه الموعظة ..

أما الأولى فظاهرة ، وأما الثانية فذلك لينبه كل كافر عليه يثوب إلى رشده فيقلع عما هو عليه من اعتقاد باطل .

ولك أن تتفحص عناصر الصورة وخصائص النظم التى تبرز محاسنه وتظهر معالم جماله وتؤكد فى النفس معنى الضياع لهذه الأعمال .

يبد أن الشيخ وإن لم ينص على هذا على نحو سابقه إلا أنه قد فتح الباب أولاً ليجعله مثلاً يحتذى فى كل ما استشهد به .

وعلى هذا فأول ما يطالعك فى جانب المشبه به هو قوله . تعالى . :

---

[1] سورة إبراهيم آية (١٨) .

[2] النكت ٨٢ .

[3] الإعجاز البلاغي ١٠٤ .

" كرماد" وإيثاره على "كتراب" ؛ وذلك ليوحي من بداية الأمر أن الحال حال ضياع وخسران [١] ، ولك أن تتفحص جزئيات " الرماد " وأنها ذر متطاير يتساقط لا صلة بين جزئياته ولا رابط بين أجزائه ، وكذا أعمال الكافرين لا نية تجمعها ولا مقصد يربط بينها ، وإنما هي نزوات طائشة ترسلها الأهواء فتضيع فى الهواء[٢] ثم هذا الرماد ميت لا فائدة فيه ولا غاية من ورائه ، لأنه بقايا حريق ذهبت منه الحياة وانقطع فيه الأمل ، بل إن صاحبه بريء منه لأنه لا يعود عليه إلا بسوء المنظر والمنقلب . [٣]

إن كلمة " الرماد " وهي العنصر الأساسي فى التشبيه توحي بكل هذا وبما هو أكثر منه ولذلك كانت هي المختارة دون كلمة تراب ؛ لأن فى التراب سر الحياة تعود إليه إذا روى بالماء فينبت الزرع ويعم به الخير ، ثم به ومنه يكون عمران الكون بما فيه من عناصر جيدة ، ثم أليس التراب محتوى كل المعادن الغالية من الذهب والفضة ؟! فرق صغير بين " رماد " و " تراب " عند من لم يحسن التمييز بين حقائق الأشياء ، أما البصير بجواهرها فلا يداخله فى ذلك أدنى شك " . [٤]

ثم ما مصير هذا " الرماد " ؟ إنه اشتدت به الريح فيالله من ضياع !! [٥]

إن الريح لو مر بهذا الرماد ما ترك منها شيئاً فما بالك إذا اشتدت به

---

[١] الصور البيانية وقيمتها البلاغية د/ بسيوني عرفة رضوان ، ص١١٩ .
[٢] السابق ١١٩ .
[٣] السابق .
[٤] السابق ،١١٩ .
[٥] الصورة البيانية ١٢٠ .

الريح ؟!! [١]

ولك أن تتأمل أن القرآن هنا قال : " اشتدت به الريح " ولم يقل " اشتدت عليه الريح " ؛ وذلك لما تفيده هذه الباء من أن الريح قد اقتلعته وذهبت به ، بخلاف قوله " اشتدت عليه " ، فقد تشير عليه وهو ثابت لا يتبدد . [٢]

ولا يسكت التعبير القرآني عند هذا الحد من الضياع والخسران ، بل إن هذا الرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف ، فليست الريح مدوية أو سريعة أو مختلفة الاتجاهات أو عاصفة فقط ، بل إنها ليست وحدها التى تعصف فى هذا اليوم ، وإنما هي عنصر واحد من عناصر هذا اليوم العاصف ، فاليوم نفسه عاصف بكل ما فيه وقد اشتدت فيه الريح فهل يبقى من الرماد شيء ؟ . [٣]

إن مجيء " عاصف " وإيقاعه صفة لليوم يشير إلى شمول العصف واستغراقه اليوم كله .

ولو قال : " اشتدت به ريح عاصفة " لأمكن أن تكون هذه الريح تعصف ساعة ثم تهدأ ، وفى هذا إشارة إلى استمرار العصف الشديد لهذا الرماد والذهاب به فى كل أفق وليس بعد ذلك ضياع " . [٤]

" وبقيت دلالة التنكير التى توحي بتفاهة هذا الرماد وقلة حجمه ، فما هو إلا " رماد " لا قيمة له ولا أمل فيه شأن أعمال الكافرين فى التفاهة

---

[١] الصورة البيانية ١٢٠ .

[٢] الإعجاز البلاغي ١٠٦ .

[٣] الصور البيانية ١٢٠ .

[٤] السابق ١٢٠ .

وعدم النفع عند الحاجة إليه " . [١]

فيا لويل هؤلاء الكفار الذين لا يقدرون على رد شيء مما كسبوا وكيف لهم ذلك ؟! أليس ما فعلوه رماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف ؟ فليس لهم منه إلا سوء المنقلب وكآبة المنظر ، وذلك هو الضلال البعيد".[٢]

ومن هذا يتضح : " أن التشبيه بكلماته وصياغته متجه إلى إبراز معنى الضياع والهلاك وعدم الانتفاع الذى لحظه الرُّمَّاني " . [٣]

ومن ذلك . أيضاً . قول الله . تعالى . : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا ﴾، ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ [٤] .

يقول الرُّمَّاني : " .. هذا بيان قد أخرج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه ، وقد اجتمعا فى ترك الطاعة على وجه من وجوه التدبير وفى التخسيس ، فالكلب لا يطيعك فى ترك اللهث حملت عليه أو تركته ، وكذلك الكافر لا يطيع بالإيمان على رفق ولا عنف ، وهذا يدل على حكمة الله . سبحانه . فى أنه لا يمنع اللطف " . [٥]

فالذي لا تقع عليه الحاسة . ههنا . هو ذلك المنسلخ من آيات الله بعد أن أوتيها وهو ملازم لغيه وضلاله وعظ أم لم يوعظ ، والذي تقع عليه الحاسة هو ذلك الكلب في ملازمته لتلك الحال " إن تحمل عليه يلهث أو

---

[١] الصور البيانية ١٢٠ .

[٢] السابق ١٢٠ .

[٣] الإعجاز البلاغي ١٠٦ .

[٤] سورة الأعراف الآيتان (٦٧ ، ٦٨) .

[٥] النكت ٨٢ .

تتركه يلهث " [١] والمعنى الجامع هو : " ترك الطاعة ... إلخ " .

. هذا المعنى الجامع لكلا الطرفين قد تجاوزت فيه المماثلةُ النفسيةُ المماثلةَ الحسيةَ ، تأمل قوله : " .. فالكلب لا يطيعك فى ترك اللهث هملت عليه أو تركته وكذلك الكافر لا يطيع بالإيمان على رفق ولا عنف " .

هذا المعنى الذى يريد أن يبثه فى نفس المتلقي منظور فيه إلى حسن دلالة الألفاظ فى التركيب :

ذلك أن أول ما يطالعاك منها هو أن قال : " فمثله كمثل الكلب " فاختار من الحيوانات أخسها وهو الكلب ، وأخس الكلاب هو الكلب اللاهث هذه واحدة . [٢]

ثانياً : إن التعبير القرآني لم يقتصر على قوله " فمثله كمثل الكلب " بل اتبعه بذكر تلك الحال : " إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث " [٣] ؛ إذ لو اقتصر عليه فلربما أوقع فى لنفس تشبيهه بالكلب فى غير تلك الحال ، وعليه تكون الجهة منفكة بين طرفي المشابهة ، أو قل على الأقل كان التشبيه ناقصاً ، وهذا خلاف ما عليه القوم من أن المعنى الجامع لكلا الطرفين ينبغي أن يكون أكمل وأتم فى المشبه به من المشبه [٤] ، وكذا الأمر أن لو اقتصر على قوله : " إن تحمل عليه يلهث " ؛ إذ لو كان كذلك لكان مشابهاً له فى حال دون حال .

---

[١] ينظر : التفسير الكبير للفخر الرازي ١٥ / ٤٧ .

[٢] السابق ١٥ / ٤٧ .

[٣] ينظر : نظم الدرر فى تناسب أوائل الآيات والسور للبقاعي ، تحقيق / عبد الرازق المهدي٣ / ١٥٢ ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط : أولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

[٤] ينظر : الإيضاح للخطيب القزويني ، تحقيق الشيخ / عبد المتعال الصعيدي ٤ / ٤١٥ ، مكتبة الآداب بالقاهرة ، ط : أولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

يقول البقاعي : " .. فإن أوجب لك الحمل عليه ظن أن لهثه لما حاول من ذلك التعب ردك عنه لهثه فى الدعة ، فتعلم حينئذ أنه ليس له سبب إلا إتباع الهوى ، فتابع الهوى مثل الكلب كما بين " . [١]

وهذا كما يقول القرطبي ـ رحمه الله ـ " .. شر تمثيل ؛ لأنه قد غلب عليه هواه حتى صار لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً بكلب لاهث أبداً حمل عليه أو لم يحمل عليه فهو لا يملك لنفسه ترك اللهثان " . [٢]

ثالثاً : أن النظم المعجز لم يقل " فمثله كالكلب " من دون " مثل " أو فمثله كمثل الكلب من دون الكاف ؛ ذلك أن الكاف : " .. تفيد المشابهة على المقاربة لا على إفادة المبالغة التامة فى المشابهة بين الطرفين [٣] ، وذلك مما يتلاءم مع اختلاف الطرفين فى الجنس .

وأما " مثل " فهي تفيد التسوية بين الطرفين فى شئ ما [٤] ، وذلك لما يتناسب مع دلالة الاتحاد فى ترك الطاعة على وجه من وجوه التدبير وفى التحسيس .

بيد أنها وإن تجمع بين الطرفين المختلفين فى الجنس على نحو سابقها إلا أن دعوى الاتحاد بين الطرفين على هذا النحو إنما يكون على سبيل التجوز لأجل المبالغة ؛ وذلك بتنزيل المختلفين فى الجنس أو النوع منزلة المتفقين لغرض المبالغة ..

---

[١] ينظر : نظم الدرر ٣ / ١٥٢ .

[٢] الجامع لأحكام القرآن ٧ : ٣٢٣ ط : من دون .

[٣] بيان التشبيه د/ العيسوى ٣١٧ ، وينظر : دلائل الإعجاز ص٢٥٨ .

[٤] ينظر : بيان التشبيه ٣١٧ ، أدوات التشبيه دلالتها واستعمالاتها فى القرآن الكريم د/ محمد موسى حمدان ص٢١ وما بعدها .

. يقول الطوفي فى كتابه الإكسير فى علم التفسير : " إن استخدام "مثل" بين طرفين مختلفين فى جنسهما أو نوعهما نحو " زيد مثل الأسد " إنما هو مجاز لإفادة المبالغة ، إذ المماثلة هي الاتفاق فى الذات والصفات والمشابهة اتفاق فى بعض الكيفيات " . [١]

رابعاً : إذا كان إيحاء الكلمة يعني " إثارتها فى النفس معاني كثيرة أحاطت بها مع مرور الزمن حتى صار النطق بالكلمة مشيراً لهذه المعاني فى نفس سامعها " [٢] ، فما الذى توحي به تلك الكلمة : " الكلب " ، وما اتصف به من قوله : " إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث " ؟

إن هذه الكلمة توحي بتلك الخسة والدناءة والتحقير والهوان وذلك مما يدعو إلى التنفير منه ، إذا كان ذلك كذلك فهل هذا يتلاءم مع ما ذكره الشيخ من أن هذا التشبيه يدل على حكمته سبحانه فى أنه لا يمنع اللطف والذى يعد حديثه عن الطرفين والوجه وسيلة له ؟ وهل لطفه مقصور على المنسلخ من آيات الله وهو الكافر ؟

الجواب : بالطبع " نعم " ؛ إذ إن لطفه يعني إمهاله ، وإمهاله يعني عدم إنزال العقوبة به وهو على تلك الحال عله يثوب إلى رشده فيقلع عما هو عليه من اعتقاد باطل .

إن ذلك اللطف لا يقتصر على ذلك المنسلخ من آيات الله كما يقول البقاعي ؛ بل مثله فى ذلك : " الجاهل الذى لا يتصور أن يتبع غير الهوى ؛

---

[١] بيان التشبيه د/ عبد الحميد العيسوي ص٣١٧ ، وينظر : الإكسير فى علم التفسير للفقيه الطوفي البغدادي ، تح د / عبد القادر حسين ص١٦٨ ، مكتبة الآداب بالقاهرة ، ط ثانية .

[٢] أسس النقد الأدبي عند العرب د/ أحمد أحمد بدوي ص٤٥٥ ، مطبعة نهضة مصر .

لأنه يتبع الهوى مع إبقاء الآيات فبعد الانسلاخ منها أولى " ، ثم يضيف بعد ذلك قوله : " فقد وضح تشبيه مثله بمثل الكلب ، لا تشبيه مثله بالكلب " ، وهذه القصة تدل على أن من كانت نعم الله فى حقه أكثر كان بعده عن الله إذا أعرض عنه أعظم وأكبر " . [١]

. ومما جمع فيه بين جمال التعبير وبراعة التأثير عن طريق التشبيه قول الله . تعالى .:﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾.[٢]

يقول الرُّمَّاني : " .. هذا بيان قد أخرج مالم تجر به عادة إلى ما قد جرت به عادة ، وقد اجتمعا فى معنى الارتفاع فى الصورة ، وفيه أعظم الآية لمن فكر فى مقدورات الله . تعالى . عند مشاهدته لذلك أو علمه به ليطلب الفوز من قبله ونيل المنافع بطاعته " . [٣]

والذي لا تجري به العادة . ههنا . هو رفع الجبل فوق رؤسهم بمقدار عسكرهم لما لم يقبلوا حكم التوراة ، والذى قد جرت به العادة هو كل ما أظل من سقف أو غيره [٤] ... وقد اجتمعا في معنى الارتفاع في الصورة كما قال الشيخ .

والذي يبدو أن مالم تجر به العادة يبدو وكأنه شيء غريب ، والذي لاشك فيه " أن الشيء الغريب الذي من شأنه أن تنكره النفوس يلحق بما تألفه وتقبله ، وبهذا تسلك بالغريب سبيل القريب فتوقعه في القلب موقعاً

---

[١] نظم الدرر ٣ / ١٢٥ ، ١٥٣ .

[٢] سورة الأعراف آية (١٧١) .

[٣] النكت ٨٣ .

[٤] الإعجاز البلاغي أ.د/ أبو موسى ١٠٦ ، وينظر : الكشاف للزمخشري ، تحقيق / مصطفى حسين أحمد ٢ / ١٣٧ ، مطبعة الاستقامة ، ط ثانية ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م.

يأنس به " . [١]

وما ههنا . أيضاً . كذلك ؛ فإن ما أبرزه الحق . جل جلاله . من تلك الحال كان أدعى إلى أن يحدث فى نفوسهم . عن طريق الإيحاء . ذلك الأثر ، وهو كونه : " أعظم الآية لمن فكر فى مقدورات الله ... إلخ " ، كما ذكر الشيخ ، وإلا لما سجد هولاً وعلى حاجبهم الأيسر عند رؤيتهم لها أو مشاهدتهم إياها خوفاً من إنزال العقوبة . [٢]

يعين على ذلك التعبير بقوله : " وإذ نتقنا " وإيثاره على " إذ رفعنا " ، إذ " النتق : رفع فيه زعزعة ، وهز ، وجذب ، واضطراب ، وإسناده إلى ضمير العظمة لزيادة الترهيب ، وإيقاعه على الجبل ومجيئه معرفة لمعرفتهم به ، وإيثاره على الطور مع أن ذلك هو المراد ؛ لدلالة لفظه على الصعوبة والمشقة ؛ لأن السياق لبيان نكرهم بإسرافهم فى المعاصي الدالة على غلظ القلب " . [٣]

هذا إلى جانب أن المقام . ههنا . مقام إنذار بإنزال العقوبة بخلافه ثمة[٤] ؛ إذ المقام هنالك مقام تذكير بتعداد النعم فيما أرشدهم إليه ووجههم به .

وتأمل قوله : " فوقهم " مع أن الرفع لا يكون إلا من فوق ، ومجيء "كان" وما تفيده من قوة المشابهة [٥] ومؤازرته لكون النتق : رفع فيه زلزلة وزعزعة واضطراب ، وذلك مما يتلاءم مع ما هو عليه من مقام التخويف ؛ إذ

---

[١] الإعجاز البلاغي ١١٢ .

[٢] ينظر : الكشاف ٢ / ١٣٧ .

[٣] ينظر : نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للبقاعي ، ٣ / ١٤٦ ، ١٤٧ .

[٤] وهو قوله : " ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم " . سورة النساء آية (١٥٤) .

[٥] ينظر : دلائل الإعجاز ٢٥٨ .

لو كان القصد لمجرد الرفع لما كان لمجيء التشبيه . ههنا . فائدة .

يقول الشيخ / رشيد رضا ، بعدما يذكر أن الجبل هو "جبل الطور": " .. ونتقنا بمعنى : رفعنا كما عير به فى الآيات الأخرى ، وهو المروي عن ابن عباس،أو زلزلناه وهو مرفوع فوقهم وظلل لهم كما يقال : نتق السقاء إذا هز ونفضه ليخرج منه الزبدة " .

قال الجمهور أي : اقتلعه ورفعه فوقهم ، يقول : " فإن قيل : لو كان الأمر كذلك . أي كما قال الجمهور . لكان ظلة بالفعل لا كالظلة فإن الظلة كل ما أظلك من فوقك ، ويصدق رفع والجبل فوقهم كالظلة وجودهم فى سفحه واستظلالهم به ؟ قلنا : أنه وإن صح هذا التأويل فإن رفع الجبل فوقهم على الوجه الأول إنما كان لاحتقارهم لا لإظلالهم ، وأما ظنهم أنه واقع بهم فإنما جاء من زلزلته واضطرابه ، على أن الله . تعالى . قادر على قلعه وجعله فوقهم ، وكم رأوا من آياته ما هو أدل على قدرته تعالى " . [1]

. ومما جاء على هذا الضرب من التشبيه قول الله . تعالى . : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ ... ﴾ [2] .

يقول الرُّمَّاني : " هذا بيان قد أخرج مالم تجر به عادة إلى ما قد جرت به وقد اجتمع والمشبه به فى الزينة والبهجة ثم فى الهلاك بعده " . [3]

" .. المشبه . هنا . هو مثل الحياة الدنيا ، أي : حالها وقصتها فى

[1] ينظر : تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ٩ / ٣٢٤ .
[2] سورة يونس آية (٢٤) .
[3] النكت ٨٣ .

إقبالها وبهجتها ثم توليها ، والمشبه به هو الصورة المكونة من ماء ينزل من السماء فيختلط به نبات الأرض فيزهو النبات وتتزين به ألأرض ثم بصبح فناء".[١]

ويضيف أ.د/ أبو موسى ، ما يوضح مجيء التشبيه على هذا الضرب وما يهدف إليه من ذلك الغرض فيقول : " والمشبه هو حال الدنيا فى بهجتها وفنائها وإن كان يتكرر إلا أن الإحساس به ليس بنفس درجة الإحساس بصورة النبات الزاهي الذى يصبه الذبول ؛ لأن ذلك يقع كثيراً تحت البصر والسمع ، ففي كل وقت نرى نباتاً يحياً ونباتاً يموت ، نرى النضارة والذبول يمثلان أمامنا ، نرى ذلك فى الريف والحضر والقرى والمدن ، نرى كل يوم أغصانا وأعشاباً وأوراقاً ذابلة تسقط يمثل فيها الفناء .. ولهذا كثرت هذه الصورة فى القرآن ، لأنه أراد أن يلفت فى كل حال إلى المصير المحتوم ، وأراد . أيضاً . أن يلفت إلى ضرورة التفكير فيما يحيط بالمسلم ويقع نظره عليه ضرورة أخذ العظة الوجدانية من الأشياء " . [٢]

وذلك فيما أحسب . وهو ما يصفح عن مضمون ذلك المغزى من التشبيه وما يحدثه عن طريق ذلك الإيحاء فى النفس من ذلك الأثر فى قول الرُّمَّاني : "وفى ذلك العبرة لمن اعتبر والموعظة لمن تفكر فى أن كل فان حقير وإن طالت مدته وصغير وإن كبر قدره " . [٣]

ـ ونظير ما سبق فى هذا المقام . أيضاً . قول الله . تعالى . : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ

---

[١] الإعجاز البلاغي ١٠٠ .

[٢] السابق ١٠٠ .

[٣] النكت ٨٣ .

فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ... ﴾ [١] .

يقول الرُّمَّاني : " فهذا تشبيه قد أخرج مالم تجر به عادة إلى ما قد جرت به ، وقد اجتمعا فى شدة الإعجاب ثم فى التغيير بالانقلاب " . [٢]

هذا ولئن كانت شدة الإعجاب فى الطرفين ظاهرة ، وكان التغيير بالانقلاب بادٍ فى جانب المشبه به : " ثم يهيج فتراه مصفرا " فإنه فى جانب المشبه يبدو من طور الشباب الذى يقع فيه التفاخر ، والشيخوخة التى يكون فيها التكاثر . [٣]

بل قد لا أكون مبالغاً إن قلت إن ذلك بادٍ من كل طور من أطوار هذه الحياة ، الطفولة والصبية التى يكون فيها اللعب ، والشباب الذى يكون فيه اللهو والفتوة التى يكون فيها الزينة [٤] ... إلخ .

وفى ذلك كما يقول الرُّمَّاني : " الاحتقار للدنيا والتحذير من الاغترار بها والسكون إليها " . [٥]

إن ذلك التحقير الذي يريد أن يبثه فى نفس المتلقي هو المناسب لما سيق الكلام لأجله ؛ إذا لما سبق " التحريض على الصدقات والإنفاق أعقبه بالإشارة إلى سبب الشح .. أنه الحرص على استيفاء المال لإنفاقه فى لذائذ الحياة الدنيا ، فضرب لهم مثل الحياة الدنيا بحال محقرة على أنها زائلة

---

[١] سورة الحديد آية (٢٠) .

[٢] النكت ٨٤ .

[٣] ينظر : التحرير والتنوير ٢٧ / ٤٠٠ .

[٤] السابق ٢٧ / ٤٠٠ .

[٥] النكت ٨٤ .

تحقيراً لحاصلها وتزهيداً فيها ؛ لأن التعلق بها يعوق عن الفلاح " . [١]

. ومما جاء على هذا الوجه فى هلاك قوم عاد قول الله . تعالى . : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ [٢] .

يقول الرُّمَّاني : " هذا بيان قد أخرج مالم تجر به عادة إلى ما قد جرت به وقد اجتمعا فى قلع الريح لهما وإهلاكها إياهما ، وفى ذلك الآية الدالة على عظمة القدرة والتخويف من تعجيل العقوبة " . [٣]

ودلالة الآية على عظمة القدرة والتخويف من تعجيل العقوبة بادٍ من قوله . تعالى . : " إنا أرسلنا عليهم " ومناسبة لما قبله ؛ إذ " لما ذكر تكذيبهم وأعقبه تعذيبهم علم السامع أنه شديد العظمة فاستمطر أن يعرفه فاستأنف قوله مؤكداً تنبيهاً على أن قريشاً أفعالهم فى التكذيب كأفعالهم كأنهم يكذبون بعذابهم ، فقال : " إن أرسلنا عليهم " ، وعبر بضمير العظمة للدلالة على عظمة المرسل ، وعظمة المرسل فيه دلالة على عظمة المرسل ، كما عبر . أيضاً . بحرف الاستعلاء إعلاماً بالنقمة [٤] والباعث على ذلك الإعلام بتلك النقمة هو ما كان من قريش من تكذيب .

والريح الصرصر : الشديدة البرد والصوت [٥] ، انظر إلى قوله " فى يوم نحس مستمر " ، والتعبير بلفظ يوم وما فيه من الدلالة على التقريب نظراً لما يحمله من إرادة التقليل .

---

[١] التحرير والتنوير ٢٧ / ٤٠٠ بتصرف .

[٢] سورة القمر الآيتان (١٩ ، ٢٠) .

[٣] النكت ٨٣ .

[٤] نظم الدرر ٧ / ٣٥٦ .

[٥] نظم الدرر ٧ / ٣٥٦ .

يقول البقاعي ـ رحمه الله ـ : " ولما كان مقصود السورة تقريب قيام الساعة ووصف سيرهم إلى الداعي بالإسراع ناسب أن يعبر عن عذابهم بأقل ما يمكن ، فعبر باليوم الذى يراد به الجنس الشامل للقليل والكثير " . [١]

" والنحس : الشؤم " [٢] ، أو " شديد القباحة " . [٣]

وإذا كانت إضافة " يوم " إلى " نحس " من إضافة الزمان إلى ما يقع فيه[٤] ؛ فإن فيه دلالة على شدة شؤم أو قباحة ما يقع فيه من هذه الريح .

" وفى يوم نحس مستمر " أي : " دائم الشؤم " ، وعليه يكون اليوم قد "استمر عليهم بنحوسه ، واستمر عليهم فيه العذاب والهلاك " . [٥]

وتأمل كلمة " تنزع الناس " ، وما فى كلمة " تنزع " من معاناة فى النزع تصف مقاومة القوم لهذه الريح ومحاولتهم اليائسة فى التشبث بالسلامة والبقاء " . [٦]

" والنخل المنقعر " ، أي : " المنقطع من أصله الملقى على الأرض من قولهم : قعر النخلة فانقعرت ، أي : قطعها من أصلها فسقطت " . [٧]

---

[١] السابق ٧ / ٣٥٦ .

[٢] فى ظلال القرآن لسيد قطب ٢٧ / ٣٤٣١ ، دار الشروق ، الطبعة العاشرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

[٣] نظم الدرر ٧ / ٣٥٦ .

[٤] التحرير والتنوير ٢٧ / ١٩٢ .

[٥] الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٣٥ .

[٦] الإعجاز البلاغي ١٠٩ .

[٧] السابق ٢٧ / ١٩٤ ، وينظر : القاموس المحيط للفيروز آبادي ، تحقيق / عبد الخالق السيد عبد الخالق عضيمة ، ص٤٠٠ ، ن : مكتبة الإيمان بالمنصورة ، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

" ووصف النخيل بمنقعر فيه إشارة " إلى أن الريح صرعتهم صرعاً تفلقت منه بطونهم ، وتطايرت أمعاؤهم وأفئدتهم فصارت جثثا فرغاً ، وهذا تفظيع لحالهم ومثله لهم لتخويف من يراهم " . (١)

هذا وغيره هو ما تحمله عبارة الرُّمَّاني : " وفى ذلك الآية الدالة على عظمة القدرة والتخويف من تعجيل العقوبة " .

ومما هو وارد فى شأن قوم عاد إلا أن الإخراج فيه قد جاء على وجه مغاير لسابقه قول الله . تعالى . : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ (٢) .

يقول الرُّمَّاني : " .. هذا تشبيه قد أخرج مالا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم ، وقد اجتمعا فى خلو الأجساد من الأرواح ، وفى ذلك الاحتقار لكل شيء يؤول به الأمر إلى ذلك المآل " (٣) .

والذى لا يعلم بالبديهة (*) . ههنا . هو كون القوم صرعى ،

---

(١) التحرير والتنوير ٢٧ / ١٩٤ .

(٢) سورة الحاقة الآيتان (٦ ، ٧) .

(٣) النكت ٨٤ .

(*) " والسبب فى أن جرت هذه الآية على هذا الوجه وبرزت إبادتهم فى صورة أعجاز النخل الخاوية ، هو أن " خلو أعجاز النخل من الحياة والنفع " .. وصف ثابت للجذوع الخاوية ، بخلاف اقتلاع الجذوع وطرحها على الأرض كأنها مصروعة ؛ فإن ذلك معنى فى الجذوع ليس من أوصافها الثابتة ، وإنما هو وصف طارئ ولهذا عدة الرُّمَّاني من القسم الثاني الذى هو : " إخراج مالم تجر به عادة إلى ما قد جرت به عادة " .

الإعجاز البلاغي أ.د/ أبو موسى ١١١ .

" وصرعى جمع صريع ، وهو الملقى على الأرض ميتاً " [١] ، والمشبه به " أعجاز النخل الخاوية " ، أي : الخالية من الحياة والنفع . [٢]

وإذا كانت البديهة تعني : " البداهة والابتداء وسداد الرأي عند المفاجأة ، والمعرفة يجدها الإنسان فى نفسه من غير إعمال فكر ولا علم بسببها " [٣] ، فإن "خلو أعجاز النخل من الحياة والنقع أمر بدهي فى إدراك الناس " .

أما حديث الشيخ عبد الجامع ، وهو " خلو الأجساد من الأرواح " ، فهو منظور فيه إلى تقييد المشبه به بذلك الوصف : " خاوية " ..

ولقد حسنت هذه اللفظة بحسن موقعها لسببين :

الأول : أنها هي التى وضحت ما كان مبهماً منه فى جانب المشبه ؛ إذ لولاه ـ لو اقتطعت بالآية عن سياقها ـ لما علم أن القوم كانوا مصروعين على الأرض ميتين .

الثاني : أنها هي التى أوقعت فى النفس بعد ذلك الإيضاح الاحتقار لكل شئ يؤول به الأمر إلى ذلك المآل .

ومن ثم كان " لهذا الوصف وقع فى التنفير من حالتهم ليناسب الموعظة والتحذير من الوقوع فى مثل أسبابها " . [٤]

ـ وهنالك وجه رابع لا ينظر فيه إلى أن الوعي بالصفة وعي ظاهر،

---

[١] التحرير والتنوير ٢٩ / ١١٨ .

[٢] الإعجاز البلاغي ١١١ .

[٣] المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١ / ٤٤ ، ط ثانية ١٣٩٩هـ / ١٩٧١م .

[٤] التحرير والتنوير ٢٩ / ١١٩ .

وأن العلم بذلك ضروري كما هو مفاد العلم بالبديهة ، وإنما ينظر فيه إلى قوة الصفة أو ضعفها . [١]

وذلك ما يبدو من تعليقه على قوله . تعالى . : ﴿ وَلَهُ الجَوَارِ المُنشَآتُ فِي البَحْرِ كَالأَعْلامِ ﴾ [٢] .

يقول الرُّمَّاني : " فهذا تشبيه قد أخرج مالا قوة له فى الصفة إلى ماله قوة فيها ، وقد اجتمعا فى العظم إلا أن الجبال أعظم " . [٣]

فالمشبه هو السفن المرفوعات الشرع المنشآت فى البحر ، والمشبه به هو : الأعلام وهي فى الجبال أقوى ، والمراد هنا : تجلية مظهر من مظاهر قدرة الله . سبحانه وتعالى . فى أنه ييسر لهذه الجواري الضخمة الحركة على سطح الماء " . [٤]

---

[١] الإعجاز البلاغي ١١١ .

[٢] سورة الرحمن الآية (٢٤) .

[٣] النكت ٨٥ .

[٤] الإعجاز البلاغي ١١١ .

ولعل هذا هو المراد بما يوحي به ذلك التشبيه عند الرُّمَّاني فى قوله : "وفى ذلك العبرة من جهة القدرة فيما سخر من الفلك الجارية مع عظمها وما فى ذلك من الانتفاع بها وقطع الأقطار البعيدة فيها " . (١)

ولقد تآزرت عناصر الأسلوب فيما أجمله الرُّمَّاني بنظره الثاقب من ذلك الإيحاء .

فبدأ بقوله : " وله الجواري " ، وقد جاءت فيه اللام للملك ، وهو ملك تسخير السير فيها . (٢)

والإخبار عن السفن بأنها له للتنبيه على أن إنشاء البحر للسفن لا يخرجها عن ملك الله . (٣)

وانظر إلى قوله : " وله الجواري " ، والذى حذف فيه الموصوف لتعينه وأقيمت الصفة مقامه ، والتقدير : وله السفن الجواري لتستشعر فى هذا الحذف التركيز على موضع العبرة ، وموطن الامتنان .

يقول الشيخ الطاهر : " والجواري : صفة لموصوف محذوف دل عليه متعلقه وهو قوله : " فى البحر " ، والتقدير : السفن الجواري ؛ إذ لا يجرى فى البحر غير السفن " . (٤)

" والمنشآت . بفتح الشين . على قراءة الجمهور . اسم مفعول من أنشأ إذا أوجد وصنع ، أي : التى أنشأها الناس بإلهام من الله ، فحصل من الكلام منتان : منة تسخير السفن للسير فى البحر ، ومنه إلهام الناس

(١) النكت ٨٥ .
(٢) التحرير والتنوير ٢٧ / ٢٥١ .
(٣) السابق ٢٧ / ٢٥١ .
(٤) السابق ٢٧ / ٢٥١ .

لانشائها " . [١]

" والمنشآت . بكسر الشين . على قراءة حمزة وأبي بكر عن عاصم مشتقاً من أنشأ السير إذا أسرع " وعليه " .. يكون فى ذلك تذكيراً بنعمة إلهام الناس إلى اختراع الشراع لإسراع سير السفن ، وهي مما اخترع بعد صنع سفينة نوح " . [٢]

" ولما كانت مع كونها عالية على الماء منغمسة فيه مع أنه ليس لها من نفسها إلا الرسوب والغوص قال فى البحر " . [٣]

" ووصف الجواري بأنها كالأعلام ، أي : الجبال وصفاً يفيد تعظيم شأنها فى صنعها المقتضى براعة إلهام عقول البشر لصنعها ، والمقتضى عظم المتعة بها ، لأن السفن العظيمة أمكن لحمل العدد الكثير من الناس والمتاع " . [٤]

فقد اتضح إذن اتضاحاً لا يدع للشك مجالاً أن التشبيه كوسيلة بيانية لها دور بارز فى جمال التعبير ، وأن ذلك الجمال نابع من الغرض الذى يرمي إليه والهدف الذى يحققه إلا وهو الوضوح والبيان .. [٥]

---

[١] التحرير والتنوير ٢٧ / ٢٥١ ، وينظر : كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ، تحقيق الدكتور / شوقي ضيف ، ص : ٦٢٠ ، الطبعة الثانية ، طبعة : دار المعارف بمصر .

[٢] التحرير والتنوير ٢٧ / ٢٥١ ، وينظر : السبعة لابن مجاهد ٦٢٠ .

[٣] نظم الدرر ٧ / ٣٨٤ .

[٤] التحرير والتنوير ٢٧ / ٢٥٢ .

[٥] وقد عدّ بعض الدارسين المحدثين حسن البيان وقوة الوضوح مقياساً من مقاييس الجمال عند العلماء الإعجاز ، وكذلك إحكام النظم ، وإبداع التأليف ، ينظر : النقد الأدبي د/ صلاح عبد التواب ١١٩/٢ ، ١٥٤ .

هذا إلى جانب حسن النظم ، وعذوبة اللفظ ، وكثرة الفائدة وصحة الدلالة على نحو ما نص عليه الشيخ فى مستهل حديثه عند أول شاهد منه .. [١] .. هذه واحدة ..

ثانياً : أن سر جماله . على اختلاف وجوهه . هو داعي تأثيره ؛ وذلك أن إبراز المعنى فى صورة محسوسة إنما يعمل على توكيد المعنى . بعد توضيحه . وتثبيته فى النفس . [٢]

وكذا الأمر فى إبراز غير المألوف فى صورة ما هو معتاد ومألوف، فقد جاء ليعمق فى النفس ذلك المعنى الغريب [٣] الذى من شأنه أن تنكره النفوس . ولو على سبيل التنزيل . فلا يتأتى لها بعد ذلك أدنى سبيل إلى الإنكار .

أما يعلم بالبديهة فذلك مقيس على ما هو مدرك بالحس فيستقر ويثبت .

وإما مالا قوة له فى الصفة فذلك بناءً على أن الصفة معلومة ولكن المجهول هو مقدارها [٤] فيلحق بحاله قوة فيها فيتمكن فيها فضل تمكن .

وهنالك ضرب ثالث يكشف عن جمال التعبير وبراعة التأثير فى ذلك الفن البلاغي الخلاب ، إلا وهو روعة الإيحاء [٥] ، فما من موضع إلا وهو

---

[١] ينظر : النقد الأدبي ، د / صلاح عبد التواب ١١٩/٢ ، ١٥٤ .

[٢] ينظر : الصناعتين ٢٦٥ .

[٣] ينظر : الإيضاح للخطيب القزويني ، متن البغية ٣ / ٤١٣ ، مكتبة الآداب ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٩م .

[٤] ينظر : الإيضاح متن البغية ٣ / ٤١٤ .

[٥] وقد عده د/ صلاح عبد التواب أيضاً مقياساً من مقاييس الجمال عند علماء الإعجاز ، ينظر: النقد الأدبي٢/ ١٦٣ .

يقول فيه أثر حديثه عن الطرفين والوجه : " وفى ذلك كذا وكذا .. " ، وعلى سبيل المثال قوله فى هلاك قوم عاد فى آية القمر : " وفى ذلك الآية الدالة على عظمة القدرة والتخويف من تعجيل العقوبة .. " . [١]

وناهيك عن إيحاء لفظه فى سياق نظمه ، وتأمل قوله : " ولو قيل يحسبه الرائي ماءً لكان بليغاً وأبلغ منه لفظ القرآن ؛ لأن الظمآن أشد حرصاً عليه وتعلق قلبه به " ، وما يلقيه فى النفس من معنى تلك اللهفة ، وقل مثل ذلك فى " أعماله كرماد " وإيثاره على " كتراب " وهكذا .. [٢]

وههنا ـ أمر رابع ـ ينبغي التنبيه عليه هو أن التشبيه قد تجاوزت فيه المماثلة النفسية المماثلة الحسية ، وعلك تستشعر ذلك بوضوح فى تلهف ذلك الكافر إلى شئ من هذه الأعمال كما يتلهف ذلك الظامئ إلى شئ من ذلك الماء..

وقل مثل ذلك فى آية الأعراف : " ... فمثله كمثل الكلب " ، وعد إلى قول الرُّمَّاني : " وقد اجتمعا فى ترك الطاعة على وجه من وجوه التدبير وفى التحسيس .. إلخ " [٣] ، ومن يتتبع ما ذكر فى صور التشبيه يجد دليلاً على صحة ما يقال . أ.هـ .

---

[١] ينظر النكت : ٨٣ ، البحث ص ٧٤٧٩ .

[٢] ينظر ص ٧٤٦٤ ، ٧٤٦٨ من البحث .

[٣] ينظر ص ٧٤٧٠ من البحث .

المبحث الثالث

الاستعارة القرآنية عند الإمام " الرُّمَّاني "

بين

الأثر النفسي والتعبير الجمالي

ـ يبدأ بتعريفها فيقول : " الاستعارة : تعليق العبارة على غير ما وضعت له فى أصل اللغة على جهة النقل للإبانة " . (١)

. ولما كان مدرار الأمر فى نقل اللفظ من معنى إلى معنى على تلك الإبانة فقد جعلها إلى جانب لفظها ونظمها . مصدر حسنها ، ومنشأ جمالها . وذلك لما يضفي على المعنى من ظلال وإيحاءات " .. يعرى عنها الكلام حين ترجع بالمعنى إلى صورته التى تعبر عنها الحقيقة " . (٢)

يقول أبو الحسن : " وكل استعادة حسنة فهي توجب بياناً لا تنوب منابه الحقيقة ، وذلك أنه لو كانت تنوب منابه الحقيقة كانت أولى به ، ولم تجز الاستعارة " . (٣)

وبناءً على هذا فقد راح الشيخ يحلق فى سماء البلاغة العالية يستلهم أسرارها وفقه دلالاتها كي يدلل على سمو التعبير القرآني ويكشف عن دوره فى بلاغة الإعجاز ، وذلك عن طريق المقارنة بين المعنى الحقيقي للفظ والمعنى المجازي ، واهتمامه فى ذلك بإبراز العلة وإظهار السبب فى أن كانت

(١) النكت ٨٥ .

(٢) الإعجاز البلاغي أ.د/ أبو موسى ١١٩ .

(٣) النكت ٨٦ .

الاستعارة أبلغ والعدول إليها أوجب مع اهتمامه . أحياناً . بالإبانة عن ذلك المعنى الجامع لكلا الطرفين وعن كونه أقوى وأتم فى جانب المستعار منه والذى هو دونه فى تلك الإفادة المستعار له ، فضلاً عن كشفه عن أهم العناصر وهو جمعها بين الأثر النفسي والتعبير الجمالي " . [١]

وذلك على نحو ما ورد فى قوله . تعالى . : ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً** ﴾ [٢] .

يقول الرُّمَّاني : " حقيقة قدمنا . ههنا . : عمدنا ، وقدمنا أبلغ منه؛لأنه يدل على أن عاملهم معاملة القادم من سفر ؛ لأنه عاملهم من أجل إمهاله لهم كمعاملة الغائب عنهم ثم قدم قرأهم على خلاف من أمرهم ، وفى هذا تحذير من الاغترار بالإمهال والمعنى الذى يجمعهما العدل ؛ لأن العمد إلى إبطال الفاسد عمد والقدوم أبلغ لما بينا " . [٣]

وما ذكره الشيخ يتبلور فى :

الأول : أن القدوم " مستعار لمعنى : العمد ، والمعنى الذى يجمعهما العدل والقدوم أبلغ ، وكونه أبلغ لا يعني : أنه زيادة فى الصفة المرادة التى هي الجامع . فحسب . وإنما هو أبلغ إلى النفس ، أي : أسرع بلوغاً إليها ووضوحاً لديها " . [٤]

---

[١] فى البحث البلاغي قراءة ثانية للباحث ١٨٧ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

[٢] سورة الفرقان آية (٢٣) .

[٣] النكت ٨٦ .

[٤] ينظر : الإعجاز البلاغي أ.د/ أبو موسى ١١٩ .

الثاني : أن القدوم والعمد وإن اشتركا فى معنى القصد إلى الشيء إلا أنه فى القدوم قصد مصحوب بالمجيء ، وفى ذلك ما فيه من الدلالة على الترهيب فوق دلالته على التحذير فى هذا الجو الرهيب ، وحسبك أن يكون القادم فى مثل هذا المقام هو ذو الجلال ـ سبحانه ـ .

ذلك ما ألمحه من تعليل وجه الأبلغية عند الشيخ الذى يقول فيه : " لأنه يدل على أنه عاملهم من أهل إمهاله لهم .. إلخ " . [١]

وبعد كل هذا أيصلح " عمدنا " فى موطن " قدمنا " ؟ وهل يبلغ فى الحسن ذلك المبلغ ؟ وما مصدره ؟ أهو اللفظ أو المعنى أو النظم ؟ وهل يوقع فى النفس من ذلك الترهيب والتحذير ما يوقعه قدمنا ؟ وما مصدر ذلك الإيحاء أهو مدلول الكلمة ؟ أو استعارتها ، أو وضعها فى التركيب ومكانها المختار فيه ؟ [٢]

كل هذا وأكثر منه تجيب عنه عبارات الرُّمَّاني السالفة الذكر .

يقول د/ زغلول سلام : " ولعلنا نعجب بالرُّمَّاني عندما استجمع الصورة القرآنية فى ذهنه على هذه الشاكلة وكشف عن خبايا التعبير القرآني فى استعارة القدوم للعمد وفضل القدوم على معنى الآية ، وفى بعث الخيال وإثارته لدى القارئ المتذوق ، وربط ذلك بصورة أخرى ، وهي صورة المسافر الذى يأتي فيرى القوم على خلاف فيضرب ليعدل ويصلح الفاسد ، وبذلك يكون الرُّمَّاني قد تنبه إلى أهم ركن فى الاستعارة وقيمتها وهو الأثر النفسي الذى يبدو فى صورة انفعال الوجدان بكلمة قدمناه ، ثم ربطه الخيال بصورة

---

[١] النكت ٨٦ .

[٢] ينظر : النقد الأدبي أ.د/ صلاح عبد التواب ٢/ ١٦٤ .

أخرى قريبة تقوى المعنى وتملأ النفس تحذيراً وخشية " . [١]

وعلى هذا النحو " يمضى الرُّمَّاني فى تحليل الدور الذى تقوم به الاستعارة فى التعبير القرآني منتهياً دائماً إلى ذلك الأثر النفسي ، ذلك إلى النواحي الأسلوبية من لفظ ومن نظم " . [٢]

يقول فى قوله . تعالى . : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ [٣] " القذف والدمغ . هنا . مستعار ، وهو أبلغ ، وحقيقته : بل نورد الحق على الباطل فيذهبه ، وإنما كانت الاستعارة أبلغ ؛ لأن فى القذف دليلاً على القهر ؛ لأنك إذا قلت : قذف به إليه فإنما معناه : ألقاه إليه على جهة الإكراه والقهر ، فالحق يلقى على الباطل فيزيله على جهة القهر والاضطرار ، لا على جهة الشك والارتياب ، و " يدمغه " أبلغ من يذهبه ، لما فى يدمغه من التأثير فيه ، فهو أظهر فى النكاية وأعلى فى تأثير القوة " . [٤]

أصل القذف : الرمي البعيد . كما قال الراغب . ، وهو مستلزم لصلابة الرمي ، وأصل الدمغ : كسر الشئ الرخو الأجوف ، وقد استعير الأول للإيراد ، والثاني للمحق [٥] ، وذلك فيما أحسب . هو المراد بقوله: " القذف والدمغ هنا مستعار وهو أبلغ ، وحقيقته : بل نوره الحق على الباطل فيذهبه " .

وإنما استعار " القذف " و " الدمغ " لغلبة اللهو بالجد ولدحض

---

[١] أثر القرآن فى تطور النقد العربي ٢٤٠ .

[٢] السابق ٢٤٠ .

[٣] سورة الأنبياء آية (١٨) .

[٤] النكت ٨٨ ، ٨٩ .

[٥] روح المعاني للألوسي ١٧ / ٢٠ ، ن : مكتبة التراث بالقاهرة ، وينظر : المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، تح / وائل أحمد عبد الرحمن ١٧٨ ، ٣٩٨ المكتبة التوفيقية .

الباطل بالحق تصويراً لإبطاله وإهداره ومحقه ، فجعله أي الحق كأنه جرم صلب كالصخرة مثلاً قذف به على جرم رخو فدمغه " . [١]

وعلى هذا " فكلمة القذف توحي بهذه القوة التى يهبط بها الحق على الباطل ، وكلمة " يدمغه " توحي بتلك المعركة التى تنشب بين الحق والباطل حتى يصيب رأسه ويحطمه فلا يلبث أن يموت " . [٢]

" والتعبير عن إيراد الحق على الباطل بالقذف فيه كل هذا الذي لحظه الرُّمَّاني ولو أنه قال : نرمي الحق بالباطل لما كان فيه تلك الغلبة القاهرة التى تجدها فى كلمة " نقذف " ، ومما أكد هذا المعنى في هذه الكلمة إسناد الفعل إلى الحق ـ جل جلاله ـ ، وناهيك عن باطل يرمي بيد الله ، ووراء ذلك إشارة خفية إلى أن الباطل ينمو ويتماسك ويشتد بل ويطغى فلا تشجه إلا ضربة قاهرة تستمد اقتدارها من صلابة الحق . [٣]

وهكذا يمضي " الرُّمَّاني " في تناوله للفظ المستعار ، وأنه لم يتناوله بمعزل عن النظم ، وحسبك في هذا قوله فى تعليل وجه أبلغيته على الحقيقة فى الآية الأولى : " لأنه يدل على أنه عاملهم من أجل إمهاله لهم كمعاملة الغائب عنهم ثم قدم فرآهم على خلاف من أمرهم فأخذ يضرب ليعدل ويصلح الفاسد"[٤] ، وقوله في الثانية : " .. لأنك إذا قلت : قذف به إليه فإنما معناه : ألقاه إليه على جهة الإكراه والقهر ، وما فى هذا وسابقه من الإشارة إلى أن الاستعارة إنما تستمد ظلالها وإيحاءتها ، وقوتها ، وتأثيرها ، وجمالها ـ بالإضافة إلى هذا ـ من إسنادها إلى ضمير ذي الجلال ـ سبحانه ـ .

---

[١] ينظر : الكشاف ص٨٤ .

[٢] من بلاغة القرآن د/ أحمد أحمد بدوي ص٢١٩ .

[٣] الإعجاز البلاغي أ.د/ أبو موسى ١٢٦ .

[٤] النكت ص ٨٦ ، ٨٨ .

. بل إنه ليتجاوز هذا إلى ما تعلق به الفعل في قوله . تعالى . : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [١] .

يقول : " حقيقته : فبلغ ما تؤمر به ، والاستعارة أبلغ من الحقيقة ؛ لأن الصدع بالأمر لابد له من تأثير كتأثير صدع الزجاجة ، والتبليغ قد يصعب حتى لا يكون له تأثير فيصير بمنزلة مالم يقع ، والمعنى الذى يجمعهما الإيصال إلا أن الإيصال الذى له تأثير كصدع الزجاجة أبلغ " . [٢]

تأمل قوله : " لأن الصدع بالأمر لابد له من تأثير كتأثير صدع الزجاجة " .

أما عن دقة اختيار اللفظ وماله من أثر فى النفس فذلك ما يبدو من استعارة الصدع للتبليغ بجامع الإيصال فى كل إلا أن التأثير مع الصدع أوقع فى النفوس من التأثير بالتبليغ ؛ ذلك أن المبلغ قد يؤثر فى المبلغ بالإنابة والتوضيح والشرح حتى لم يعد به شئ من الخفاء ومع ذلك يمكن كتمانه ، أما التأثير بالصدع فلأن الشيء المصروع يكون قد أصيب من الصادع بما لا يعود المكسور فيه إلى الالتئام مرة أخرى . [٣]

---

[١] سورة الحجر آية (٩٤) .

[٢] النكت ٨٧ .

[٣] ينظر : الصور البيانية وقيمتها البلاغية د/ بسيوني عرفة ٢٥٤ .

وعلى ذلك تتجلى القيمة البلاغية للتعبير بالصدع عن التبليغ ؛ لأن التبليغ قد لا يكون مؤثراً بينما الصدع لابد فيه من التأثير ، فيكون المعنى : " ابن الأمر يا محمد إبانه لا تنمحى كما لا يلتئم صدع الزجاجة " . (١)

وعلى هذا " .. فكلمة الصدع .. توحي بما يكون من أثر هذه الدعوة الجديدة من أنها ستشق طريقها إلى القلوب وتحدث فى النفوس أثراً قوياً " . (٢)

أسرار التعبير الجمالي فى اللفظ الاستعاري

١ـ استدعاء المعانى :

من أسرار التعبير الجمالي فى اللفظ الاستعاري هو أن اللفظ الاستعاري يستدعى من المعاني مالا يستدعيه اللفظ الحقيقي .

يقول فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾ (٣) .

" .. حقيقته : حصلت عليهم الذلة ، والاستعارة أبلغ لما فيه من الدلالة على تثبيت ما حصل عليهم من الذلة كما يثبت الشيء بالضرب ؛ لأن التمكين به محسوس ، والضرب مع ذلك ينبئ عن الإذلال والنقص ، وفى ذلك شدة الزجر لهم والتنفير من حالهم " (٤) ، " فكأن الروعة فى الاستعارة فى هذه الآية جاءت من استعمال القرآن للفظ الضرب وما استدعاه هذا اللفظ

(١) الصور البيانية وقيمتها البلاغية د/ بسيوني عرفة ٢٥٥ .
(٢) من بلاغة القرآن د/ أحمد بدوي ٢١٩ ، مطبعة نهضة مصر .
(٣) سورة آل عمران آية (١١٢) .
(٤) النكت ٩٠ .

من المعاني والصور المختلفة ، فمعنى التثبت والمعنى الحقيقي للزلة ومعنى النقص وغيرها من المعاني التى تشترك فى تقوية التعبير فى الآية " . [١]

ويضيف د/ زغلول سلام ، قوله : " .. وجميل أن يتنبه إلى أن الاستدعاء المعنوي للفظ وتعبيره من أسرار الجمال فى الاستعارة فى القرآن ، وهو ما تنبه له علماء الجمال وعلماء علم النفس الأدبي والنقاد المحدثون " . [٢]

٢ـ إثارة الأحاسيس النفسية المختلفة :

" من أسرار جمال التعبير القرآني عنده . أيضاً . إثارة الأحاسيس النفسية المختلفة كالرحمة ، والحب ، واللذة ، والألم ، والغضب ، والخوف، والانتقام " .

يقول فى قوله . تعالى . : ﴿ **سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ** ﴾ [٣] . " شهيقاً حقيقته : صوتاً فظيعاً كشهيق الباكي ، والاستعارة أبلغ منه وأوجز ، والمعنى الجامع بينهما قبح الصوت " تميز من الغيظ " ، حقيقته من شدة القلبان بالاتقاد ، والاستعارة أبلغ منه؛ لأن مقدار شدة الغيظ على النفس محسوس مدرك مدى ما يدعو إليه من شدة الانتقام ، فقد اجتمع شدة فى النفس تدعو إلى شدة انتقام فى الفعل ، وفى ذلك أعظم الزجر وأكبر الوعظ ، وأدل دليل على سعة القدرة وموقع الحكمة " . [٤]

فمما ذكره الرُّمَّاني يتبين أنه قد " تنبه لمخاطبة القرآن للغرائز

---

[١] أثر القرآن فى تطور النقد العربي ٢٥١ .

[٢] السابق ٢٥١ .

[٣] سورة الملك الآيتان (٧ ، ٨) .

[٤] النكت ٨٧ .

ولاستخدامه لها فى التعبير ، واستخدام غريزة الغيظ وشعور الغضب فى النفس فجعلها فى النار لتدل على الحقد والتهيؤ للانتقام من الكافرين بابتلاعهم ، فأثار هذه الغرائز التى تبعث فى خفايا النفس صور النار وهو لها حتى تبث الخشية والرهبة والخوف فى النفوس فتنعي للخير وتبتعد عن المعصية " . [١]

٣ـ تقوية المعاني وتثبيتها فى النفس :

وقد اعتمد فى ذلك على وسائل الحس المختلفة :

فمما اعتمد فيه على حس البصر قوله . تعالى . : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾ [٢] .

يقول أبو الحسن : " حقيقته : حصلت عليهم الذلة ، والاستعارة أبلغ لما فيه من الدلالة على تثبيت ما حصل عليهم من الذلة كما يثبت الشيء بالضرب ، لأن التمكين به محسوس والضرب مع ذلك ينبئ عن الإذلال والنقص ، وفى ذلك شدة الزجر لهم والتنفير من حالهم " . [٣]

فالحق . جل جلاله . يريد أن يكشف عما حصل عليهم من تلك الذلة فأبرزه فى صورة واضحة ومؤكدة ، وهي الضرب ليشعر من بادئ الأمر بتثبيتها عليهم ، وتمكنها منهم تمكن الضرب بالمضروب ، ولينبئ عن مدى ما هم فيه من ذلة ومهانة ، زجراً لهم ، وليبعث فى النفس جانب التنفير من تلك الحال " . [٤]

---

[١] آثر القرآن فى تطور النقد العربي ٢٥٢ .

[٢] سورة آل عمران آية (١١٢) .

[٣] النكت ٩٠ .

[٤] فى البحث البلاغي قراءة ثانية للباحث بالاشتراك مع د/ علي عيسى ، ص :

ـ ومما اعتمد فيه على حس السمع قوله . تعالى . : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً ﴾ [1] .

يقول الرُّمَّاني : " حقيقته : منعناهم الإحساس بآذانهم من غير صمم، والاستعارة أبلغ ؛ لأنه كالضرب على الكتاب فلا يقرأ كذلك المنع من الإحساس فلا يحس " ، ويضيف : " وإنما دل على عدم الإحساس بالضرب على الآذان دون الضرب على الأبصار لأنه أدل على المراد من حيث كان يضرب على الأبصار من غير عمى فلا يبطل الإدراك رأسً ، وذلك بتغميض الأجفان ، وليس كذلك منع الأسماع من غير صمم فى الآذان ؛ لأنه إذا ضرب عليها من غير صمم دل على عدم الإحساس من كل جارحة يصح بها الإدراك ، ولأن الأذن لما كانت طريقاً للانتباه ثم ضربوا عليها لم يكن سبيل إليه " . [2]

فلتوكيد المنع من الإحساس أبرزه فى صورة الضرب على الأسماع من غير صمم ، وأثره على الضرب على الأبصار لكونه أدل عليه وأوفى بتأديته من وجهين :

الأول : أنه قد يضرب على الأبصار من غير عمى كأن يكون بتغميض الأجفان ، فلا يبطل الإدراك رأسا وليس كذلك الضرب على الأسماع ؛ لأنه إذا ضرب عليها من غير صمم دل ذلك على عدم الإحساس رأساً من كل جارحة يصح بها الإدراك .

الثاني : أن الضرب على الأبصار ليس سبيلاً إلى الانتباه مع ذلك

---

١٩٢ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

[1] سورة الكهف آية (١١) .

[2] النكت ٩٤ .

المنع المذكور ، وليس كذلك الضرب على الأسماع ؛ إذ لما لم يكن له طريق غيره كان أوكد فى تلك الصفة وهي المنع من الإحساس عن طريق الضرب على الأسماع دون الضرب على الأبصار " . [١]

ـ ومما اعتمد فيه على حس الذوق قوله . تعالى . : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾ [٢] .

يقول : " .. حقيقته : لنعذبنهم ، والاستعارة أبلغ ؛ لأن إحساس الذائق أقوى ، لأنه طالب لإدراك ما يذوقه ، ولأنه جعل بدل إحساس الطعام المستلذ إحساس الآلام لأن الأسبق فى الذوق ذوق الطعام " . [٣]

فكلام الرُّمَّاني . ههنا . يشير إلى أنه قد جعل ذوق الطعام فى موطن ذوق العذاب ، وذلك لأسبقيته فى تلك الصفة من جهة ، والاستدلال على كونه أقوى فيما يعانونه من ألم العذاب من جهة أخرى " . [٤]

وقد " يعتمد القرآن مألوف العادة فى بيان الحقائق غير المألوفة والتجارب الغريبة " [٥] ، والذى لاشك فيه أنه حينما يسلك بالغريب مسلك القريب المألوف فإنه يوقعه فى القلب موقعاً يأنس به " . [٦]

يقول فى قوله . تعالى .:﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ [٧] " أصل الرقاد : النوم ، وحقيقته : من مهلكنا ، والاستعارة أبلغ ؛ لأن النوم

---

[١] فى البحث البلاغي قراءة ثانية ١٩٣ .

[٢] سورة السجدة آية (٢١) .

[٣] النكت ٩٣ .

[٤] فى البحث البلاغي ١٩٤ .

[٥] الإعجاز البلاغي ١٢٧ .

[٦] الإعجاز البلاغي ١١٢ .

[٧] سورة يس آية (٥٢) .

أظهر من الموت ، والاستيقاظ أظهر من الإحياء بعد الموت ؛ لأن الإنسان الواحد يتكرر عليه النوم واليقظة وليس كذلك الموت والحياة " . [١]

فقد استعير الرقاد الذى هو فى الأصل للنوم للموت ، والنوم من التجارب المعتادة وإذا أحيل على هذه التجربة حقيقة خفية أظهرتها . [٢]

بيان هذا أن " النوم " أقل من الموت فى فقد الإدراك ، ولكن القرآن لا يلتفت إلى هذا ، وإنما يلتفت إلى وضوح الإحساس بالحقيقة فيستعير الرقاد للموت . [٣]

الاستعارة هنا ـ تقوم على إلحاق الكامل إلى الصفة بالناقص فيها ، ولكنها تعتمد إلحاق الناقص فى مقدار الإحساس بالصفة فى هذا ، وهذا هو معنى الأبلغية ، ولهذا قلنا : إنها البلوغ بالحقيقة إلى النفس . [٤]

٤ـ الإيجاز :

كذلك ـ أيضاً ـ قد يكمن سر جمالها فى إيجازها .

يقول فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ ﴾ [٥] ." حقيقته : صوتاً فظيعاً كشهيق الباكي ، والاستعارة أبلغ منه وأوجز والمعنى الجامع بينهما قبح الصوت " . [٦]

" الشهيق : رد النفس إلى الداخل فى طول ، والزفير : إخراجه " وهذا

---

[١] النكت ٩٣ .

[٢] الإعجاز البلاغي ١٣٨ .

[٣] السابق ١٣٨ .

[٤] السابق ١٣٨ .

[٥] سورة الملك آية (٧) .

[٦] النكت ص ٨٧ .

يعني : أن جهنم تستقبلهم فى لهفة وتجذبهم إليها فى شهقة مسموعة مخيفة " [١] " والغرض من هذا هو : " تفظيع صوت جهنم وتقبيحه والتنفير منه" . [٢]

فهذه الصورة على وجازتها تفعل فى النفس فعل أقوى الأساليب ، وذلك لما تثيره فيها من مشاعر الخوف والفزع من عذاب جهنم . [٣]

. ومنه . أيضاً . قوله . تعالى . : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ [٤] .

يقول : " اللفظ . ههنا . بالشوكة مستعار ، وهو أبلغ ، وحقيقته : السلاح ، فذكر الحد الذى به تقع المخافة ، واعتمد على الإيحاء إلى النكتة ، وإذا كان السلاح يشتمل على ما له حد وما ليس له حد فشوكة السلاح هي التى تبقى " . [٥]

يقول بعض الدارسين المحدثين : " فعبر هنا بلفظ الشوكة لتشمل كل أنواع السلاح ما له شوكة وما ليس له شوكة ، وهذا نهاية الإيجاز

---

[١] دور البلاغة فى تأدية الأغراض الدينية د/ محمد إبراهيم شادي ، ص : ٧٦ ، مطبعة السعادة ، ط : أولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، وينظر : المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، تح / وائل أحمد عبد الرحمن ، ص : ٢١٨ ، ٢٧٣ ، ن : المكتبة التوفيقية بالقاهرة ، لسان العرب لابن منظور مادة (ز ، ف ، ر) ، ومادة (ش ، هـ ، ق) ، تح / نخبة من الأساتذة المتخصصين ، ن : دار الحديث .

[٢] دور البلاغة فى تأدية الأغراض الدينية ٧٦ .

[٣] السابق ٧٦ .

[٤] سورة الأنفال آية (٧) .

[٥] النكت ٨٩ .

والاختصار " . [١]

وهذا الاقتصار إلى جانب ما فيه من اللوم والتعنيف المنبثق من التعريض بكراهيتهم للقتال [٢] ، فيه حث وتنبيه على ما يرفع راية دينهم وما يكتب لهم به البقاء والخلود .

وذلك فيما أحسب . هو المراد بقوله : " فشوكة السلاح هي التى تبقى " .

ومن كل ما سبق يتبين ما يلي :

أولاً : أن الاستعارة عنده لم تأت لمجرد نقل اللفظ من معنى إلى معنى ، وإنما ذلك النقل لابد وأن يكون لغرض كما هو . من بعد . عند أبي هلال . [٣]

ذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه ، أو تأكيده والمبالغة فيه أو إيراده فى أسلوب موجز . [٤]

وفى هذا مخالفة لما ذكره الإمام عبد القاهر الذى بنى فحوى مضمون اعتراضه عليه على أن الاستعارة عند أبي الحسن مقصورة على مجرد النقل على حين أنها عند الإمام : " ادعاء معنى الاسم للشئ لا نقل الاسم عن الشئ " . [٥]

كما أن فى هذا مخالفة أيضاً لأستاذنا الدكتور / أبو موسى ،

---

[١] دراسات حول الإعجاز البياني ، د / الحناوي ١٨٣ .

[٢] ينظر : تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ٩ / ٥٠٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

[٣] ينظر : كتاب الصناعتين ٢٩٥ .

[٤] السابق ٢٩٥ .

[٥] ينظر : الدلائل ٤٣٤ .

الذى ذكر أنه لم يجد أحداً يذكر للاستعارة غرضًا واحداً . وهو الإنابة . سوى أبي الحسن .

كيف ذلك وأستاذنا يذكر أن هذا الغرض " يتسع حتى يستوعب مقالة القدماء والمحدثين فى مقاصد هذا الأسلوب " ؟ . [١]

وأوضح من هذا وأبين فى مخالفتنا له وردنا قوله أنه يعود فيذكر ما يفيده كلام الرُّمَّاني فى ذلك النقل من التوكيد والمبالغة .

يقول : أثر تعقبه على ما ذكره فى قوله . تعالى . : " ضربت عليهم الذلة " ، يقول أستاذنا : " والرُّمَّاني لم يقف عند هذا الحد من المغزى أعني التوكيد والمبالغة فى لزوم الذلة لهم وإحاطتها بهم ، وهذا حسن ، ولكن الرُّمَّاني مع ذلك يستوحي كلمة " ضرب " ويستخرج منها معنى الامتهان والإذلال والنقص " . [٢]

ثانياً : أن " الرُّمَّاني ببيان الأسرار البلاغية التى أوردها آنفاً يعد من أولئك الذين أسهموا إلى حد كبير فى توضيح جمال الاستعارة فى القرآن وأسرار ذلك الجمال ؛ حيث عرض لها من جهة إبراز غير المألوف فى صورة المألوف وإبراز مالا يدرك بالحاسة إلى ما يدرك بها ، والحواس لها أهميتها فى إدراك المعاني ، وهي وسيلة إلى تعميق المعنى فى النفس وتأثيره فى القلب ، وهي أداة لإظهار المعنى فى صورة مشوقة رائعة " . [٣]

ثالثاً : أن ما ذكره الرُّمَّاني من ملاحظات فى العلة الجمالية لبعض

---

[١] ينظر : الإعجاز البلاغي ١١٨ .

[٢] السابق ١٣٧ .

[٣] دراسات حول الإعجاز البياني د/ المحمدي الحناوي ١٧٨ .

نكت الأسلوب فى القرآن قد زاد فى ذلك عن سابقيه ، وحاول أن يفسر إحساس الجمال الذى فى الأسلوب على ضوء نفسي إلى جانب الخواص اللغوية والأدبية الأخرى " . [1] أ.هـ

[1] أثر القرآن فى تطور النقد العربي ٢٥٣ / ٢٥٤ .

المبحث الرابع

التلاؤم القرآني عند الإمام " الرُّمَّاني "

بين

الأثر النفسي والتعبير الجمالي

التلاؤم : " تعديل الحروف فى التأليف " [١] ، " وليس هناك فارق كبير بين النظر إلى تلاؤم الحروف فى الكلمة والنظر إلى تلاؤم الكلمة فى الكلام " . [٢]

هذا والرُّمَّاني عندما التفت إلى أهمية هذا التلاؤم وعده من الظواهر الجمالية البارزة فى أسلوب القرآن ، فإنه نظر إليه من زوايتين :

الأولى : من خلال الوضع التركيبي بين الكلمات وبعضها ، لا من حيث حركاتها الإعرابية ومراعاة القوانين النحوية . [٣]

وكان قصده فى ذلك هو تعديل الحروف فى هذه الكلمات حتى تسلم من رزيلة التنافر . [٤]

الثانية : " باعتبار شكله العام فى وضع اللفظة مكانها فى الجملة من حيث الدلالة على المعنى المراد . [٥]

---

[١] النكت ٩٤ .

[٢] الإعجاز البلاغي ١٤٠ .

[٣] النقد الأدبي د/ صلاح الدين عبد التواب ٢/ ١٢٨ .

[٤] السابق ١٢٨ .

[٥] السابق ١٢٩ .

ومن ثم يكون هذا المدى البعيد من التأثير فى النفوس نتيجة لذلك الأسلوب المتلائم فى ألفاظه ومعانيه " . [١]

هذا ما استنبطه بعض الدارسين [٢] من قول الرُّمَّاني : " والفائدة فى التلاؤم : حسن الكلام فى السمع ، وسهولته فى اللفظ ، وتقبل المعنى فى النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة " [٣] . [*]

هذا ولم يستشهد الشيخ على الأول منه . فى هذا الباب . إلا بشاهد واحد فقط،وهو قوله . تعالى .:﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ [٤] والذى هو : " أحسن تأليفاً " بالحروف المتلائمة " من قول العرب : " القتل أتقى للقتل " ،

---

[١] النقد الأدبي د/ صلاح الدين عبد التواب ١٢٩/٢ .

[٢] السابق ١٢٩ .

[٣] النكت ٩٦ .

[*] أما تقبل المعنى له فى النفس فظاهر .

وأما حسن الكلام فى السمع ، وهو المقابل لتجنب الكراهة فى السمع عند الخطيب [١] ، فإن اللفظ من قبيل الصوت ، والصوت منه ما تستلذ النفس سماعه ومنه تأتكره سماعه . [٢]

وأما السهولة فى اللفظ فذلك ما يبدو من يسر الانتقال بين حروفه [٣] ، وذلك أدعى إلى قبول النفس له .

أما صعوبة اللفظ فذلك ما ينشأ من تنافر حروفه ، وما يترتب على ذلك من الثقل على اللسان عند النطق [٤] ، وذلك أدعى إلى أن تنفر النفس منه .

[١] الإيضاح متن البغية ١٥ ، ١٦ .

[٢] السابق ١٥ ، ١٦ .

[٣] البلاغة الصوتية فى القرآن الكريم د/ محمد إبراهيم شادي ٥٤ ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

[٤] ينظر : الإيضاح ١٢ .

[٤] سورة البقرة آية (١٧٩) .

وعلة ذلك عنده " أن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعد الهمزة من اللام ، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام ".[١]

ـ وأما الثاني فمنه ـ أيضاً ـ الآية التى معنا ، والتى هي أكثر فى الفائدة من قول العرب ، والسبب فى ذلك أن قول الله ـ تعالى ـ " فيه كل ما فى قولهم : " **القتل أتقى للقتل** " ، وزيادة معان حسنة ، منها : إبانة العدل لذكره القصاص ، ومنها : إبانة الغرض المرغوب فيه لذكره الحياة ، ومنها الاستدعاء بالرغبة والرهبة لحكم الله به " . [٢]

بيد أن الشيخ وإن كثر عنده الاستشهاد على الثاني : كما هو واضح ـ بالإضافة إلى آية القصاص ـ من شواهد الاستعارة والتشبيه دون الأول الذى هو عنده نادر وعزيز ، فمرجع ذلك ـ فيما أحسب ـ إلى صعوبة مسلكه ، ودقة مأخذه ، وأنه الباب الواسع الذى تنقطع دونه الأفهام ، خاصة وأن المتلائم فى الطبقة العليا عنده هو القرآن كله [٣] ، بيد أنَّ هذا وإن كان فى الثاني صعباً ففي الأول منه أصعب .

وكأنى بالشيخ يريد أن يفتح الباب إلى تأمل كل دارس وتتبعه فى كل موطن فى الكتاب العزيز ، تأملاً يقوم على مراعاة مخارج الحروف والكشف عن مواطن اعتدالها وسر جمالها فى التأليف .

وهذا أمر ليس باليسير ، فقد يمضي فيه الباحث الشهور ولا يجني منه إلا السطور ، حتى إنك لتجد واحداً من أمثال العلامة الرافعي ـ رحمه الله

---

[١] النكت ٧٨ .

[٢] السابق ٧٧ .

[٣] السابق ٩٥ .

. لا يقف عند هذا الحد ، بل إنه ليتجاوز هذا إلى تلاؤم الحروف لا من حيث مخارجها ، وأصواتها وصفاتها . فحسب . بل وحركاتها أيضاً ، ومدى ملاءمتها للدلالة المعنوية فى التأليف . [١]

يقول : " ولما كان الأصل فى نظم القرآن أن تعتبر الحروف بأصواتها وحركاتها ومواقعها من الدلالة المعنوية استحال أن يقع فى تركيبه ما يسوغ الحكم فى كلمة زائدة ، أو حرف مضطرب ، أو ما يجرى مجرى الحشو والاعتراض " . [٢]

وبعد ، فبناءً على ما ذكر من فوائد ، وما سبقها من تعريف ، وما تلاها . فيما استشهد . من تعليق وما عده بعض الدارسين المحدثين من أن مظهر جمالها لا يقتصر على التلاؤم بين الألفاظ ومعانيها فحسب ، بل إنه ليتجاوز هذا إلى ظاهرة أخرى وهي إبداع النظم وإحكام التأليف . [٣]

[١] ينظر : إعجاز القرآن ، ص : ١٨١ وما بعدها.

[٢] إعجاز القرآن للرافعي ١٩١ .

[٣] ينظر : النقد الأدبي د/ صلاح عبد التواب ١١٩/٢ ، ١٢٧ .

المبحث الخامس

الفواصل القرآنية عند الإمام " الرُّمَّاني "

بين

الأثر النفسي والتعبير الجمالي

الفواصل عند " الرُّمَّاني " : " حروف متشاكلة فى المقاطع توجب حسن إفهام المعاني " . [1]

وبالتأمل فيما ذكر الشيخ من تعريف لهذه الظاهرة الجمالية فى أسلوب القرآن يتبين أمران :

الأول : أن التشاكل لا يقتصر على مجرد اللفظ ؛ إذ لو كان أمراً لفظياً بحتا لاقتصر على الشق الأول فى التعريف ، ولما كان موجباً . فى شقه الثاني . لذلك الحسن فى ذلك الإفهام ، وهذا إن دل فإنما يدل على أنه " جزء جوهري فى الدلالة على المعنى " . [2]

الثاني : إذا ما أضيف إلى هذا قوله : " وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة ؛ لأنها طريق إلى إفهام المعاني التى يحتاج إليها فى أحسن صورة يدل بها عليها " [3] ، أقول : إذا أضيف إلى حسن إفهام المعاني ، أحسن

---

[1] النكت ٩٧ .

[2] هذا مفاد من تعليق أستاذنا د/ أبو موسى ، على قول الإمام فى السجع الذى استدعاه المعنى وطلبه " لا تبغي به بدلاً ، ولا تجد عنه حولا " . ينظر : مدخل إلى كتابي عبد القاهر ، أ.د/ أبو موسى ، ص : ١٢٥ ، ن : مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، أسرار البلاغة ، ص : ١١ .

[3] النكت ٩٨ .

صورة يدل بها عليها ، تبين أنه الكلام الذى بدأ فيه الحسن من الجهتين .

كما أن المتأمل فيما ذكر الشيخ من فوائد للفواصل والتى فيها : "تحسين الكلام بالتشاكل " [١] ، يجد الحسن فيها قد تجاوز دائرة المعنى واللفظ إلى دائرة النظم .

. أما الأثر النفسي فهو : " .. أن اللغة بما لها من ناحيتين .. " هما : ناحية اللفظ ، وناحية المعنى ، لها . أيضاً . ذلك الطابع الموسيقي بما تشتمل عليه الكلمة من حركات ، وسكنات ، وحروف تمد ، وحروف لا تمد ، كل ذلك وغيره يترك فى النفس أثراً متنوع الأوضاع .. ، بجانب ما توحي به إلى النفس من المعاني والأفكار .. " . [٢]

هذا بالإضافة لما أن الكلمات " .. إذا تتابعت .. وهي على حالتها تلك بحسها وجرسها ولين مخارجها ، أو تتابعت بفخامة ألفاظها وقوتها وجزالتها ، فإنها تكون صورة تصحبها موسيقاها ، ومن ثم يستجيب الفعل والوجدان لداعيها ثم لا تلبث أن تصحبها مواقف نفسية متأثرة بها ، منفعلة بها من رضا واطمئنان وهدوء إذا كان الإيقاع عذباً وهادئاً ناعماً ، وقد ينعكس الأثر فيكون الفزع والاضطراب إذا كان الإيقاع غليظاً صاخباً يقذف بالصواعق والرعود " . [٣]

---

[١] النكت ٩٩ .

[٢] النقد الأدبي د/ صلاح عبد التواب٢/ ١٧٦ .

[٣] السابق٢/ ١٧٦ .

وأحسب أن شيئاً من هذا ينسحب على كلام الرُّمَّاني . على سبيل الإجمال . فيما يوجبه ذلك الحسن فى ذلك الإفهام ، وإن لم يفصح عنه فيما استشهد به من أي الذكر الحكيم سواء ما جاء منه على الحروف المتجانسة كما فى قوله . تعالى . : ﴿ طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴾ (١) ، وقوله . تعالى . : ﴿ وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴾ (٢) ، أو ما جاء منه على الحروف المتقاربة (*) ، كالميم من النون فى قوله . تعالى . : ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٣) أو كالدال مع الباء فى قوله . تعالى . : ﴿ قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (٤) . (٥)

اللهم إلا ما ذكره من علة حسنة فى الثاني منهما . على سبيل الإجمال . دون الأول فى قوله : " وإنما حسن فى الفواصل الحروف المتقاربة ؛ لأنه يكسب الكلام من البيان ما يدل على المراد فى تمييز الفواصل والمقاطع لما فيه من البلاغة وحسن العبارة " . (٦)

---

(١) سورة طه الآيات (١ : ٣) .

(٢) سورة الطور الآيتان (١ ، ٢) .

(*) المراد بالتقارب ههنا . التقارب فى الصفة لا فى المخرج . ينظر : شرح طيبة النشر لابن الجزري ، ص : ٢٦ ، ٣٣ ، مطبعة الأزهر الشريف .

(٣) سورة الفاتحة الآيتان (٣ ، ٤) .

(٤) سورة ق الآيتان (١ ، ٢) .

(٥) النكت ٩٨ .

(٦) السابق ٩٨ .

وههنا أمران ينبغي التنبيه عليهما :

الأول : نص الشيخ على علة حسنة وسر جماله فى الثاني منهما دون الأول ، وكأنه بهذا يشير إلى أن ما يكتنف الكلام من البيان .. إلخ فيما تماثلت حروفه أمر من الوضوح بمكان ، وإنما الذى يشكل أمره هو الضرب الثاني ، وكأنه بهذا يريد أن يقول : إن ما يكتنف هذا الضرب من البيان مالا يقل قليله . عما تجانست حروفه . ولا يجعل موضع الفصلة فيه .

الثاني : رغم أن الشيخ ذكر فى تفسير هذه الظاهرة : " أنها حروف متشاكلة فى المقاطع توجب حسن إفهام المعاني " إلا أنه لم يفصح لنا عما أوجبه ذلك التشاكل من ذلك الحسن فيما استشهد به من آي الذكر الحكيم ، ولم يكشف لنا عن سر جمالها ، ولم يشر إلى أثرها فى النفس حتى ولو عن طريق الإيحاء ، فضلاً عن أنه لم يذكر ما جاء عليه النظم القرآني وما كان يمكن أن يرد عليه كما هي عادته [1] ، فلم يقل مثلاً : " ولو قال " إلا تذكر لمن يخاف " لكان بليغاً وأبلغ منه لفظ القرآن .. وكذا لو قال " يوم الجزاء .. وهكذا " .

ويجاب عن ذلك بأمرين :

الأول : أن " يخشى " جاء على الألف المقصورة الذى جاء سابق الآيات ولاحقها عليه ، فلو جاء " يخاف " فى موطنه لكان كلاما ناقصا ، ولصار كالشيء المعوز للذى يحتاج إلى تمام . [2]

---

[1] انظر : التشبيه والاستعارة من هذا البحث .

[2] ينظر : من بلاغة القرآن د/ أحمد أحمد بدوي ، ص٧٣ ، دار نهضة مصر ٢٠٠٥م.

الثاني : لعل السر فى مجيء الفاصلة فى سورة طه على نسق سابقتها هو التلاؤم مع ما عليه حال النبي ـ ﷺ ـ من اليقين الصادق بعظمة من يخشاه [١] ، ومع ما عليه حال المتذكر أيضاً ـ وما يعتريه من خوف يشوبه تعظيم عن طريق علمه بما يخشى منه [٢] ، وهذا بخلاف لفظ الخوف الذى يحدث عن تسلط بالقهر والإرهاب . [٣]

كما أن الخشية تكون من عظم المخشى وإن كان الخاشي قوياً ، أما الخوف فيكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمراً يسيراً .. [٤]

ـ ومن المتجانس ـ أيضاً ـ عند الرُّمَّاني على نحو ما سبق : ﴿ **وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ** ﴾ [٥] ، ومجيء الفاصلة فيه على حرف الهاء التى تجعل طرف اللسان [٦] لا يستقر عند النطق بها فى موضع ، ووقوعها بعد حرف المد واللين وهو الواو ، وإيثارها على كتاب " مرقوم " مثلاً مما ينبئ بعد ذلك الإمهال عن ذلك الوقع المزلزل على تلك الأنفس المخالفة لمنهج الله ، فضلاً عما ينتابها من ذلك الاضطراب العنيف فى ذلك الهول المفزع الذى لا تجد فيه تلك الأنفس ما يدفع ذلك عنها بالتحض يقلل الجبال ولجج البحار

---

[١] الإعجاز البياني للقرآن د/ عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، ص : ٢١٦ ، ط : دار المعارف ، ط : ثانية .

[٢] ينظر : المفردات للراغب الأصفهاني ١٥٥ .

[٣] الإعجاز البياني ٢٢٦ .

[٤] البرهان فى علوم القرآن للزركشي ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ٤ / ٧٨ ، دار التراث ، ويراجع ما سبق أيضاً فى البحث البلاغي ص ٢١٠ .

[٥] سورة الطور الآيتان (١ ، ٢) .

[٦] ينظر : أصوات اللغة العربية د/ عيد الطيب ، ص٤٧ ، مطبعة الأمانة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .

.. ، بل الوصول إلى السقف المرفوع ، ودخول البيت المعمور . [١]

وأما مجيء الفاصلة على حروف النون فى " مالك يوم الدين " ، وإيثارها على " الجزاء " فلعله مما ينبئ عن ذلك الرفق المتلائم مع تلك الرأفة المنبثقة من لفظ " الرحيم " فى ذلك المقام الذى يتفضل فيه الحق ـ جل جلاله ـ بذلك الإنعام وهذا بخلاف لفظ الجزاء الذى يشعر فيه الضغط على الهمزة بتلك الشدة المنبثقة من إقامة عدل الله فيهم فى ذلك اليوم . [٢]

أما آية " ق " فإن الذى سوغ مجيء الفاصلة على الحرف المتقارب وهو الباء فى " عجيب " ، وسبقها بحرف المد واللين هو استبعاد منذر منهم ينذرهم بما أنزل عليه فى ذلك الكتاب المجيد . [٣]

كذلك لم يذكر الشيخ سبب عدول القرآن عن جريه على سنن واحد فيما تماثلت حروفه أو تقاربت فى المقاطع ، وقد أبان عنه ابن سنان الخفاجي فى الأول منهما لما فيه من التكلف والتصنع والاستكراه [٤] ولما فى الطبع من الملل إذا تابعه على وتيرة واحدة ، ولذا وردت بعض آيات القرآن متماثلة ، وبعضها غير متماثلة " ، ويضف بعض الدارسين المحدثين قوله : " .. ولعل مرد ذلك كله إلى قاعدة نفسية مؤداها : أن تغيير المثير يدعو إلى تجدد الانتباه .. ، ومن ثم كان القرآن متلواً على طول التلاوة ، مسموعاً لا تمجه الآذان ، غضاً لا يخلق على كثرة الرد وعجيباً لا تنتهي عجائبه ، ولا يكاد يتتبع الإنسان آياته المحكمات إلا ويطلب منها المزيد ،

---

[١] التفسير الكبير ١٤ / ٥٦٠ .

[٢] فى البحث البلاغي ٢١١ .

[٣] السابق ٢١٢ .

[٤] ينظر : سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ١٧٤ ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط أولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

وهي تأتي على أعلى نسق الإيقاع الصوتي الجميل " . [1]

[1] **النقد الأدبي د/ صلاح عبد التواب٢/ ١٨٣ .**

المبحث السادس

التجانس القرآني عند الإمام " الرُّمَّاني "

بين

الأثر النفسي والتعبير الجمالي

" .. ثم ينتقل " الرُّمَّاني " ليطرق باب التجانس ، وهو يقصد به : الجناس و التجنيس اللفظي الذى يحدث لذة فى أسماع السامعين نتيجة للمشابهة اللفظية كما يحدث تفكراً وتأملاً يجول فيه العقل كل مجال " . [١]

فيبدأ بتعريفه قائلاً : " تجانس البلاغة : هو : بيان بأنواع الكلام الذى يجمعه أصل واحد فى اللغة " . [٢]

وهذا النوع من التعبير اللفظي يهدف إلى ناحيتين :

الأولى : صوتية ، وهي : توفير نوع خاص من الانسجام فى النغم والتقارب فى الأصوات [٣] ، وذلك . فيما أحسب . مما ينشأ عن التجاوب الموسيقي بين الكلمات ، والذى لاشك فيه أن " التجاوب الموسيقي الصادر عن تماثل الكلمات تماثلاً كاملاً أو ناقصاً تطرب له الأذن ، وتهتز له أوتار القلوب ".[٤]

---

[١] المباحث البلاغية د/ العمري ١٤٥ .

[٢] النكت ٩٩ .

[٣] أثر القرآن فى تطور النقد العربي ٢٤٤ .

[٤] خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية د/ عبد العظيم المطعني ٢ / ٤٤٣ ، ن : مكتبة وهبة ، ط : أولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

الثانية : معنوية ، وهي : " سرعة الاستدعاء اللفظي للمعنى المراد التعبير عنه " . [١]

وذلك . فيما أحسب . ما يلتقي وما ذكره الإمام عبد القاهر فى فائدته المعنوية ، وهي : " حسن الإفادة مع أن الصورة صورة التكرير والإعادة " [٢] ، وهو ما أراده " الرُّمَّاني " فى كلا القسمين : المزاوجة ، والمناسبة [٣] ؛ إذ المعروف أنه ليس المراد بـ : " الاعتداء " فى قوله . تعالى . : ﴿ **فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ... الآية** ﴾ [٤] هذا المعنى نفسه ، وإنما المراد : جزاء الاعتداء القصاص مثلاً ، ولكن النظم القرآني راعى سرعة الاستدعاء ليحقق سرعة القصاص مع العدالة ، فجانس بين اللفظين ليحقق المعنيين : سرعة استدعاء المعنى ، وتوكيد العدالة والمساواة " . [٥]

يقول الإمام فى قوله . تعالى . : " فاعتدوا عليه " : " .. أي : جازوه بما يستحق على طريق العدل ، إلا أنه استعير للثاني لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة فى المقدار ، فجاء على مزاوجة الكلام لحسن البيان " . [٦]

ومن جناس المزاوجة عنده . أيضاً . قوله . تعالى . : ﴿ **وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ [٧] .

---

[١] خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية د/ عبد العظيم المطعني ٢ / ٤٤٣ .

[٢] أثر القرآن فى تطور النقد العربي ٢٤٤ ، وأسرار البلاغة ٧ .

[٣] ينظر : النكت ٩٩ .

[٤] سورة البقرة الآية (١٩٤) .

[٥] اثر القرآن فى تطور النقد العربي ٢٤٤ .

[٦] النكت ٩٩ .

[٧] سورة آل عمران آية (٥٤) .

يقول : " أي : جازاهم على مكرهم ، فاستعير للجزاء على المكر اسم المكر للدلالة على أن وبال المكر راجع عليهم ومختص بهم " . [١]

أما القسم الثاني من المجانس هو المناسبة [٢] ، وهي عند الشيخ : "تدور فى فنون المعاني التى ترجع إلى أصل واحد " . [٣]

وذلك على نحو ما استشهد به فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾ [٤] .

يقول : " فجونس بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير ، والأصل فيه واحد وهو : الذهاب عن الشئ ؛ أما هم فذهبوا عن الذكر ، وأما قلوبهم فذهب عنها الخير " . [٥]

ومنه ـ أيضاً ـ قوله ـ تعالى ـ : ﴿ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾ [٦] .

يقول : " فجونس بالقلوب التقلب ، والأصل واحد ، فالقلوب تتقلب بالخواطر ، والأبصار تتقلب فى المناظر ، والأصل : التصرف " . [٧]

ـ وثالث المواضع التى استشهد بها الشيخ على تجانس المناسبة

---

[١] النكت ٩٩ .
[٢] السابق ١٠٠ .
[٣] السابق ١٠٠ .
[٤] سورة التوبة آية (١٢٧) .
[٥] النكت ١٠٠ .
[٦] سورة النور آية (٣٧) .
[٧] النكت ١٠٠ .

قولـه . تعالى . : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [١] .

يقول : " فجونس بإرباء الصدقة ربا الجاهلية ، والأصل واحد وهو الزيادة إلا أنه جعل بدل تلك الزيادة المذمومة زيادة محمودة " . [٢]

وههنا أمران ينبغي التنبيه عليهما :

الأول : أنـه لما كان المقصود الأصلي من الجناس هو البيان فقد جعله فى صدر مراده منه .

الثاني : أنه لما كان المقصود الأصلي من الجناس هو البيان بأصل الكلام الذى يجمعه أصل واحد فى اللغة ، فقد أدخل فيه ما ليس منه .

فجعل منه تجانس المزاوجة الذى هو من وادي المشاكلة أو المجاز المرسل . [٣]

ولا أدل علـى ذلـك وسابقه من تعليقه علـى قولـه . تعالى . : ﴿ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ [٤] ، يقول : " فجازوه بما يستحق على طريق العدل ، إلا أنـه استعير للثاني لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة فى المقدار ، فجاء على مزاوجة الكلام لحسن البيان " . [٥]

ولكن ما البيان ؟ وما جهة حسنه ؟ وهل كان ينوب منابه أن لو أتى التعبير : " فجازوه " أو " فعاقبوه " ؟ وهل كان يبلغ فى الحسن والتأثير فى النفس ذلك المبلغ ؟

---

[١] سورة البقرة آية (٢٧٦) .

[٢] النكت ١٠٠ .

[٣] ينظر : فى البحث البلاغي ٢١٧ ، ٢١٨ .

[٤] سورة البقرة آية (١٩٤) .

[٥] النكت ٩٩ .

البيان هنا هو تأكيد الدلالة على المساواة فى المقدار .

أما جهة حسنة فهي فى ذلك الاستدعاء اللفظي لذلك المعنى المراد التعبير عنه .. وهو تحقيق تلك العدالة والمساواة فى ذلك الجزاء والذى يتبادر منه إلى الذهن ذلك القصاص .. ، والذى لا ينوب منابه فجاوزه أو فعاقبوه ، وعلى فرض أنه ينوب منابه . وحاشا الله وكلا . فإنه لا يؤذن بالعدل كما آذن ذلك الاستدعاء من إبانة العدل عن طريق القصاص .

إن الحق . جل جلاله . قد أطلق لفظ الاعتداء على الجزاء . ههنا . للدلالة على أن رد الجزاء وإن كان مباحاً إلا أنه هو الآخر جريمة ينبغي للعاقل أن يترفع عنها . [1]

إن النظم المعجز ما أطلق لاعتداء على الجزاء . ههنا . إلا لتضيق دائرة العدل وتتسع دائرة الفضل ، وذلك أدعى للمعتدي عليه أن يعفو ويصفح .

ولذا فقد تآزرت دلالة التركيب فى الإفصاح عن ذلك ، فقيده بقوله . تعالى . بعده : " بمثل ما اعتدى عليكم " ، لـ " يشمل المماثلة في المقدار في الأحوال ككونه في الشهر الحرام ، أو البلد الحرام ، وهذا ما لم ولن يمكن تحقيقه ثم يأمر بالاتقاء في الاعتداء فيقول : " واتقوا الله " ، وذلك لأنه لما كان شأن المنتقم أن يكون عن غضب وكان ذلك مظنة الإسراف ، فقد أمره بألا يتجاوز الحد ثم قال : " واعلموا أن الله مع المتقين" ، وافتتاح الكلام بكلمة " اعلم " وما فيها من الاهتمام ، فإن قولك فالخطاب " اعلم " إعلام بأهمية ما سيلقى للمخاطب ، وهل هناك أهم من قوله : " مع المتقين " ؟ ، والمعية . هنا . إما أن تكون مجاز فى الإعانة بالنصر والوقاية .. وإما أن

[1] الصور البيانية د/ بسيوني عرفة ٣٣٠ .

يجعلهم محل عنايته [١] " .

وإن شئت فتأمل التعبير عن الجزاء بلفظ المكر فى قوله . تعالى . : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾ [٢] ، وما فيه من الإيذان بأن وبال مكرهم راجع إليهم ومختص بهم ، كما قال الشيخ الإمام ، هذا البيان الذى لا ينهض به التعبير بلفظ الجزاء ؛ إذ كيف ينهض به وهو من مطلق الجزاء ؟ وعلى فرض أنه جزاء خاص فى تلك الحال فهل يكشف لنا عما آل إليه أمرهم من ذلك الخذلان ؟

الجواب ، بالطبع : لا ، إن معرفة ذلك تتوقف على معرفة معنى المكر ، وما هو مكرهم ؟ وما هو مكر الله بهم ؟ وهل يستويان مثلا ؟

يقول الشيخ الرازي : " أصل المكر فى اللغة السعي بالفساد فى خفية " .

أما مكرهم يعيسى فهو أنهم هموا بقتله ، وأما مكر الله بهم ففيه وجوه :

منها : " أن الحواريين كانوا اثنى عشر وكانوا مجتمعين فى بيت منافق رجل منهم ودل اليهودي عليه ، فألقى الله شبهه عليه ورفع عيسى ، فأخذوا ذلك المنافق الذى كأنه منهم وقتلوه وصلبوه على ظن أنه عيسى . عليه السلام . فكان ذلك هو مكر الله بهم " [٣] ، وعندئذ قالوا إن كان هذا صاحبنا فأين عيسى ؟ وإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا ؟ .

يقول الشيخ سيد قطب : " .. المشاكلة هذا فى اللفظ هي وحدها

---

[١] ينظر : التحرير والتنوير ٢ / ٢١١ ، ٢١٢ .

[٢] سورة آل عمران آية (٥٤) .

[٣] التفسير الكبير ٨ / ٥٨ .

التى تجمع بين تدبيرهم وتدبير الله ، والمكر : التدبير يسخر من مكرهم وكيدهم ؛ إذ كان الذى يواجهه هو تدبير الله ، فأين هم من الله ؟ وأين مكرهم من تدبير الله ؟ " . [1]

ـ أما جناس المناسبة [*] والذى جاء عليه قوله . تعالى . : ﴿ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾ [2] ، وما يجتمعان فيه من معنى الذهاب ، فإنهم قد انصرفوا عن الذكر فصرف الله قلوبهم عن الخير ، فهذا يدل على أنه بدل من أن يكون انصرافاً لهم صار انصرافاً عليهم .

أما قوله . تعالى . : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [3] وما يجتمعان فيه من معنى الزيادة ، واستبدال الزيادة المذمومة بزيادة محمودة ، فإنه من أحسن الجناس ، بل وهو الذى مضي ، وكل تجانس فى القرآن فى أعلى طبقات البلاغة فى الحسن . وذلك لما فى إرباء الصدقة من البركة والعلو المصحوب بالارتفاع .

---

[1] فى ظلال القرآن سيد قطب ٣ / ٤٠٣ ، دار الشروق ، الطبعة العاشرة .

[*] " .. وهذا الضرب من التجانس عده البلاغيون المتأخرون مما يلحق بالجناس ، وهو أن يجمع اللفظين الاشتقاق ، أي : تتوافق الكلمات فى الحروف الأصول مع الاتفاق فى أصل المعنى ، كقوله . ﷺ . : " الظلم ظلمات يوم القيامة " .
ينظر : دراسات حول الإعجاز البياني د/ الحناوي ١٩٧ ، وينظر : الإيضاح متن البغية ٦ / ٩٨ ، السعد وابن يعقوب وابن السبكي والدسوقي فى شروح التلخيص ٤ / ٤٣٠ ، ن : دار الكتب العلمية بيروت .

[2] سورة التوبة آية (١٢٧) .

[3] سورة البقرة آية (٢٦٧) .

يقول الراغب : .. ومنه قوله ـ تعالى ـ : " يمحق الله الربا ويربى الصدقات " ، على أن الزيادة المقبولة المعبر عنها بالبركة مرتفعة عن الربا ".[١]

ـ من هذا وسابقه يتبين أن الجناس " لا يخرج عن نظرية تداعي الألفاظ وتداعي المعاني فى علم النفس ، وله أصله فى الدراسات النفسية ، فهناك ألفاظ متفقة كل الاتفاق أو بعضه فى الجرس ، وهناك ألفاظ متقاربة أو متشاكلة في المعنى بحيث تذكر الكلمة بأختها فى الجرس وأختها فى المعنى ، كما يولد المعنى الأول معنى ثانياً وثالثاً وهكذا ، وإن شئت فـ " ارجع إلى شواهد الجناس التى مرت بك من آيات كريمة .. ثم استبدل الألفاظ المتجانسة بمرادفات لها وانظر بعد ذلك لترى كيف زال الحسن والجمال ، وذهب الرونق والبهاء ، ومضت بلاغة الجناس التي كنت تشعر بها في تلك الشواهد " . [٢]

[١] المفردات للراغب ١٩٣ .

[٢] علم البديع ، دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع د/ بسيوني فيود ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، ط ثانية ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

المبحث السابع

تصريف المعاني عند الإمام " الرُّمَّاني "

بين

الأثر النفسي والتعبير الجمالي

عدّ " الرُّمَّاني " تصريف المعاني وجهاً من وجوه الإعجاز البلاغي ، وتصريف المعاني عنده يعني : " عقدها به على جهة التعاقب " [١] ، وهي عنده على ضربين :

الأول : " .. تصريف المعنى فى المعاني .. المختلفة ، كتصرف الملك فى معاني الصفات ، فصرف فى معنى : مالك ، وملك ، وذى الملكوت ، والمليك ..إلخ[٢] ، ثم يعقب على ذلك بقوله : " .. وهذا الضرب من التصريف فيه بيان عجيب يظهر فيه المعنى بما يكتنفه من المعاني التى تظهره وتدل عليه " . [٣]

وكلام الشيخ ـ ههنا ـ يحتمل أمرين :

الأول : أن ـ ههنا ـ معنى رئيسا يجمعها إلا أنه يتغير بتغير بنية الكلمة التى تدل عليه إلا أنه لم يفصح عنه .

الثاني : إنه وإن أفصح عن وجه جمالها على سبيل الإجمال فى قوله : " وهذا النوع من التصريف فيه بيان عجيب .. " إلخ ، إلا أنه لم

---

[١] النكت ١٥١ .

[٢] السابق ١٥١ .

[٣] السابق ١٥١ .

يفصح لنا عن جمال نظمها فى قوله ـ تعالى ـ مثلاً : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ [1] على اختلاف القراءة فيه : " ملك " من دون ألف بعد الميم ، وهي قراءة الجمهور ، ومالك بالألف بعد الميم وهي قراءة عاصم ، والكسائي، ويعقوب [2] ، وسر إضافته إلى يوم ، ولم قال مالك أو ملك ، ولم يقل : رب يوم الدين ؟ ولم قال مالك يوم الدين ولم يقل مالك الدين ؟ ولم قال : يوم الدين ولم يقل : يوم الحساب ؟ وما صلته بما قبله ؟ ولم ذكر بعد اسم " الله " و " الرب " ، الرحمن ، الرحيم ... وهكذا ؟ .

" فالأول وهو " ملك " صفة مشبهة صارت اسماً لصاحب الملك ـ بضم الميم ـ ، والثاني وهو ـ مالك ـ اسم فاعل من ملك إذا اتصف بالملك ـ بكسر الميم ـ ، فأما والكلمة مضافة إلى يوم الدين فقد استويا فى إفادة أنه المتصرف فى شئون ذلك اليوم دون شبهة مشارك " . [3]

و " .. المليك مبالغة مثل سميع .. ، وهو بمعنى فاعل إلا أنه يتضمن معنى التكثير والمبالغة " . [4]

أما لم قيل " ملك " أو " مالك " ولم يقل " رب " لما فى الأول من الإيذان بإقامة العدل وعدم الهوادة فيه [5] ، وكذا الأمر فى " مالك " ، لما فيه من الإشعار بإقامة الجزاء على أوفق كيفيانه " ، ولو قيل : رب يوم الدين

---

[1] سورة الفاتحة آية (٤) .

[2] ينظر : التحرير والتنوير ١ / ١٧٣ ، كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ، تحقيق د/ شوقي ضيف ، ص : ١٠٤ ، ط ثانية ، ط : دار المعارف بمصر .

[3] التحرير والتنوير ١ / ١٧٣ .

[4] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ، تحقيق / حسام الدين العدسى ، ص : ١٥٠ ، دار الكتب العلمية بيروت .

[5] ينظر : التحرير والتنوير ١ / ١٧٤ .

لكان فيه مطمع للمفسدين يجدون من شأن الرب رحمة وصفحا .. [١]

أما لم قال "ملك يوم الدين" ولم يقل ملك الدين ؟ فذلك " لتعريفنا بأن للدين يوماً ممتازاً عن سائر الأيام وهو اليوم الذى يلقى فيه كل عامل عمله ويوفى جزاءه " . [٢]

ويوم الدين " هو يوم الجزاء " ، وقال " يوم الدين " ، ولم يقل : يوم الحساب " للإشعار بأنه معاملة العامل بما يعادل أعماله المجزى عليها فى الخير والشر " . [٣]

أما صلته بما قبله وذكره إثر " الله " و " رب " و " الرحمن " و "الرحيم " فذلك أنه لما " .. خيف أن تكون تلك الأوصاف المتقدمة فى فاتحة الكتاب مخففاً عن المكلفين عبء العصيان لما أمروا به ومثيراً لأطماعهم فى العفو عن استحقاقهم بذلك ، وأن يمتلكهم الطمع فيعتمدوا على ما علموا من الربوبية والرحمة المؤكدة فلا يخشوا غائلة الإعراض عن التكاليف .. كان من مقتضى المقام تعقيبه بذكر أنه صاحب الحكم فى ذلك اليوم " . [٤]

الثاني : " .. تصريف المعنى فى الدلالات المختلفة " ، وقد " جاء فى القرآن فى غير قصة ، منها : قصة موسى . عليه السلام . ذكرت فى سورة الأعراف ، وطه ، والشعراء .. وغيرها لوجوه من الحكمة ، منها :

. التصرف فى البلاغة من غير نقصان عن أعلى رتبة .

---

[١] التحرير والتنوير ١ / ١٧٤ .

[٢] المنار ١ / ٤٦ .

[٣] التحرير والتنوير ١ / ١٧٧ .

[٤] السابق ١ / ١٧٤ .

. ومنها تمكين العبرة والموعظة " . [١]

وإذا كان الشيخ قد أشار فى الضرب الأول منه إلى بديع لفظها فإنه . ههنا . يشير إلى جمال نظمها ؛ وذلك أنه إذا كان التصرف فى البلاغة من غير نقصان عن أعلى رتبة يعني التصرف فى " أساليبها التى تدل على معنى واحد ولكلها فى أعلى مرتبة " [٢] ، فإن ذلك أمر خاص بالنظم .

. أما تمكين العبرة والموعظة فذلك ما يبدو من أثره فى النفس .

وإذا أردنا أن نفصح عن مشهد من مشاهد قصة نبي الله موسى . عليه السلام . فيما حكاه القرآن عن السحرة الذين آمنوا وعن فرعون بعدما كان وما كان من أمر العصا فإنا نجده فى قوله . تعالى . فى سورة الأعراف : ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ [٣] .

. وفى سورة طه فى قوله . تعالى . : ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ رَبِّ هَارُونَ ومُوسَى ﴾ [٤] .

. وفى سورة الشعراء فى قوله . تعالى . : ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ [٥] .

" وأول ما يطالعنا فى هذا المقام هو أنهم قد " .. صرحوا بأنهم آمنوا برب العالمين ، ثم لم يكتفوا بذلك حتى قالوا رب موسى وهارون لئلا يتوهم

---

[١] النكت ١٠١ ، ١٠٢ .

[٢] ينظر : دراسات حول الإعجاز البياني د/ الحناوي ١١٩ .

[٣] سورة الأعراف الآيات (١٢٠ ، ١٢٢) .

[٤] سورة طه الآيات (٧٠ ، ٧١) .

[٥] سورة الشعراء الآيات (٤٦ ، ٤٨) .

متوهم من قوم فرعون المقرين بإلهيته أن السجود له " [١] ، ليس ذلك فحسب ، بل إنهم لم يقتصروا على ذكر موسى ـ عليه السلام ـ حتى لا يبقى لذلك التوهم رائحته . [٢]

ـ أما تقديم " هارون " على " موسى " فى سورة طه ، وتأخره فى الأعراف والشعراء فقد ذهب كثير من المفسرين والباحثين فى بلاغة الإعجاز إلى أنه لمراعاة الفواصل .

يقول الشيخ أبو زكريا الأنصاري : " .. أخر موسى عن هارون مع أن هارون كان وزيراً له لموافقة الفواصل " . [٣]

ويقول الشيخ الشوكاني : " إنما قدم هارون على موسى فى حكاية كلامهم رعاية لفواصل الأي وعناية بتوافق رؤسها " . [٤]

حتى إن الذين ذكروا من العلل ما ذكروا لم يتركوا القول به . [٥]

ولنفس السبب ـ أيضاً ـ علل بعض المفسرين والباحثين فى بلاغة الإعجاز حذف قولهم " آمنا برب العالمين " من سورة طه .

يقول صاحب تفسير المنار : " .. فإن قيل لم لم يذكر فى سورة طه إيمانهم برب العالمين ولم أخر فيها " موسى " وقدم " هارون " ؟ فالجواب

---

[١] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني ١ /٦٢٦ ، ن : المكتبة العصرية بجدة ، ط أولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

[٢] ينظر : حاشية الشهاب ٤ / ٣٤٧ .

[٣] فتح الرحمن يكشف ما تلبس من القرآني للشيخ أبي زكريا الأنصاري ، تح أ.د/ عبد العزيز الدرديري موسى ٢٩٨ ، دار الطباعة المحمدية ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

[٤] فتح القدير ٢ / ٨٨ .

[٥] ينظر : البيضاوي وحاشية الشهاب عليه ٦ / ٢٧٢ ، ٤ / ٣٤٧ .

عنهما أن سبب ذلك مراعاة فواصل السورة بما لا يعارض غيره مما ورد فى غيرها ".[١]

بيد أن الذى ينبغي أن يشار إليه هو أن التقديم لهذا الغرض يعد أمراً عاماً فى كل موضع وقع فيه التقديم على هذا النحو ، وعليه فما قبل فى هذا ينسحب . أيضاً . على تقديم موسى على هارون فى آيتي الأعراف والشعراء ..

إن الذين قالوا بالتقديم . ههنا . لرعاية الفاصلة يشيرون إلى " .. أن تناسب الفواصل مقصد من المقاصد التى يعمد إليها القرآن ويغير من أجلها نظم الكلام " . [٢]

وعلى هذا فـ " تقديم " هارون " على " موسى " فى آية " طه " فيه إشارة معنوية لا تكون لو آخر ، وذلك أن " موسى " و " هارون " . عليهما السلام . وإن حملا معاً أمر الله : ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ ﴾ [٣] ، إلا أن موسى . عليه السلام . هو الأصل ، فهو الذى خوطب : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ ﴾ [٤] ، وهو الذى أوتى الكتاب وأيد بالحجة ، وهذا يجعل قولهم : " آمنا برب هارون وموسى " معنى ليس فى قولهم : " آمنا برب موسى وهارون " ؛ لأن بدءهم بمن ليس أفضل دال على إظهار قوة الاقتناع بالحجة والإيمان بها ؛ وذلك لأن الآية لم تظهر على يد هارون ولم يكن هو الغالب ، وليس فى تقديم موسى الذى لقفت عصاه ما صنعوا شيئاً يلفت ، لأنه هو الأصل ، أما

---

[١] تفسير المنار ٩ / ٦١ .

[٢] من أسرار المغايرة فى نسق الفاصلة القرآنية ، د/ محمد الأمين الخضري ، ص : ١٥ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

[٣] سورة طه آية (٤٣) .

[٤] سورة طه آية (٤٢) .

تقديم من لا أصل لـه فى المعجزة التى عليها آمنوا فهو الأمر اللافت لأنـه جاء على خلاف الأصل .. ، ويلاحظ أن سياق سورة طـه فيـه فضل عنايـه ببيان حفاوة السحرة لهذه المغالبة واحتشادهم لها احتشاد جعل موسى . عليـه السـلام . يقـول لهـم بعـدما جعلـوا موعـدهم يـوم الزينة : ﴿ وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ﴾ [١] .

. أما " .. القول بحذف " رب العالمين " من سورة طه لمجرد التشاكل "ففيه إهمال لما بنيت عليه هذه السورة من الإيجاز فى تصوير هذا الحدث كما يدل عليه ترتب سجود السحرة وإيمانهم على أمر الله لموسى بالالقاء دون ذكر إلقاء موسى عصاه ، وهو ما تفردت به سورة طه " . [٢]

وبعد كل هذا أيستوى حذف " رب العالمين " وذكره ؟ أم يستوى تقديم "هارون " على " موسى " وعكسه ؟ أم أن هذا وسابقه لـ " بديع نظمه ، وعجيب تأليفه ، وتناهيه فى البلاغة إلى الحد الذى يعلم عجز الخلق عنه ؟ [٣] ، وأن " .. بديع نظمه ، وعجيب تأليف " كما يقول الباقلاني . أيضاً . " لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التى يتصرف فيها : من ذكر قصص ، ومواعظ ، واحتجاج ، وحكم، وأحكام .. إلخ " . [٤]

---

[١] سورة طه آية (٦١) ، وينظر : الإعجاز البلاغي ١٩٩ .

[٢] من أسرار المغايرة فى نسق الفاصلة القرآنية د/ محمد الأمين الخضري ، ص : ١٦ .

[٣] إعجاز القرآن للباقلاني ٣٠ .

[٤] السابق ٣١ .

. أما موطن العبرة فى ذلك المشهد الذى تكرر فى أكثر من موطن كي يتمكن فى النفس ، فذلك ما يبدو فى أن الحق له السلطان الأعظم على النفوس إذا ما عرفته وآمنت به ، وأنه ليس بوسع أحد أي أحد أن يحول بينها وبينه مهما اتخذ من وسائل : إغراء أو تهديداً ، يبدو ذلك فى إيمان السحرة بموسى . عليه السلام . . [1]

ولذا تراه فى هذا المشهد وفى غيره من المشاهد " .. لا يذكر القصة على صورة بل تراه يذكر فى موطن ما يطوى ذكره فى موطن آخر، ويفصل فى موطن ما يوجزه فى موطن آخر ، ويقدم فى موطن ما يؤخره فى موطن آخر بل تراه أحياناً يغير فى التعبيرات ونظم الكلام تغييراً ألا يخل بالمعنى ، كل ذلك يفعله بحسب ما يقتضيه السياق ، وما يتطلبه المقام ، وذلك في حشد فني عظيم " . [2] أ.هـ

[1] التعبير القرآني د/ فاضل السامرائي ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ن : دار عمار ، ط : الرابعة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .

[2] السابق ٢٨٤ .

المبحث الثامن
تضمين المعاني عند الإمام " الرُّمَّاني "
بين
الأثر النفسي والتعبير الجمالي

التضمين عند " الرُّمَّاني " هو : " حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أو صفة هي عبارة عنه " . [١]

ولا يفوت الشيخ أن ينوه بفضيلة التضمين فى الكلام ويشير إلى الجهة التى يكون منها الإعجاز فى كلام الله .

يقول : " والتضمين كله إيجاز استغنى به عن التفصيل إذ كان مما يدل دلالة الأخبار فى كلام الناس ، فأما التضمين والذى يدل عليه دلالة القياس فهو إيجاز فى كلام الله خاصة " . [٢]

. وإذا كان الإيجاز عنده نوعان : حذف وقصر [٣] ، فقد نال الثاني منهما الحظ الأوفر فى هذا الباب ، ومن ثم فهو يرى أن القرآن تضمين كله، فما من آية من كتاب الله . عز وجل . إلا وقد دخلها التضمين . [٤]

يقول الرُّمَّاني : " وكل آية فلا تخلو من تضمين لم يذكر باسم أو صفة " . [٥]

ويجلى الشيخ تلك النظرة العامة فى كتاب الله . عز وجل . فيجدها فى

---

[١] النكت ١٠٢ .

[٢] السابق ١٠٣ .

[٣] السابق ٧٦ .

[٤] قراءة ثابتة فى البحث البلاغي للباحث س ٢٢٤ .

[٥] النكت ص ١٠٣ .

التطبيق على قوله . تعالى . : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ﴾ [١] ، ثم يحيل على موطن آخر من كتاباته فيقول : " قد تضمن . أي : بسم الله الرحمن الرحيم . التعليم لاستفتاح الأمور على التبرك به ، والتعظيم لله بذكره ، وأنه أدب من آداب الدين وشعار المسلمين ، وأنه إقرار بالعبودية واعتراف بالنعمة التى هي أجل نعمة ، وأنه ملجأ الخائف ومعتمد للمستنجع " [٢] ، ثم يقول : " وقد بينا بعد انقضاء كل آية فى كتاب الجامع لعلم القرآن " . [٣]

وهذا ما يتفق وما ذكره الشيخ دراز . رحمه الله . من أن القرآن إيجاز كله ، سواء فى ذلك مواطن إجماله ، أو مواطن تفصيله ، فهو يستثمر دائماً برفق . كما يقول الشيخ . أقل ما يمكن من اللفظ فى توليد أكثر ما يمكن من المعاني " . [٤]

ومن هنا تبدو جهة حسنة من حيث إنك " .. ترى للجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوهاً عدةً كلها صحيح أو محتمل للصحة ، كأنما هي فص من الماس يعطيك كل ضلع منه شعاعاً ، فإذا نظرت إلى أضلاعه كلها بهرتك بألوان الطيف كلها فلا تدري ماذا تأخذ عينك وماذا تدع " . [٥]

---

[١] سورة الفاتحة آية (١) .

[٢] النكت ١٠٣ .

[٣] السابق ١٠٣ .

[٤] ينظر : النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز ، ص : ١٢٧ ، دار القلم للنشر والتوزيع الطبعة السابعة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

[٥] السابق ١١٧ .

المبحث التاسع

المبالغة القرآنية عند الإمام " الرُّمَّاني "

بين

الأثر النفسي والتعبير الجمالي

من المحسنات البديعية المعنوية "المبالغة" ، وهي عند الخطيب : " أن يدعى لوصف بلوغه فى الشدة أو الضعف حداً مستحيلاً أو مستبعداً لئلا يظن أنه غير متناه فى الشدة أو الضعف " . [١]

والعلامة " الرُّمَّاني " إذ يعرض لتلك المبالغة فإنه لم يعرض لها من جهة كون المدعى للوصف قد تجاوز حد الإمكان إلى حد الامتناع [٢] أو العكس [٣] اللهم إلا فى وجه واحد من وجوهها وهو المتمثل فى إخراج الممكن إلى الممتنع للمبالغة نحو قوله . تعالى . : ﴿ وَلاَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ ﴾ [٤] .

يقول بعض الدارسين المحدثين : " وهذا الضرب مما يمكن أن يدخل تحت المبالغة بوصفها فناً بديعياً ، ويدخل هذا الشاهد القرآني ضمن القسم الثالث من أقسامها وهو " الغلو المستحسن " ؛ لأن دخول الجمل فى سم

---

[١] الإيضاح متن البغية ٤ / ٦١٢ .

[٢] وهو أن يكون المدعى للوصف ممتنعاً عقلاً وعادة ، وهو الغلو ، ينظر : الإيضاح ٤ / ٦١٢ .

[٣] وهو أن يكون المدعى للوصف ممكناً عقلاً وعادة ، وهو التبليغ ، أو ممكناً عقلاً لا عادة وهو الإغراق ، ينظر : الإيضاح ٤ / ٦١٢ .

[٤] سورة الأعراف آية (٤٠) ، وينظر : النكت ١٠٥ .

الخياط مما يستحيل وقوعه عقلاً وعادة بحسب مقتضى العقل البشري ، ويعد هذا الشاهد استثناءً على ما اشترطه البلاغيون منه وجود دخول ما يقرب الغلو إلى الصحة ، مثل : " كاد " و " لو " و " لولا " ؛ إذ قد يرد الغلو فى القرآن الكريم دون وجود أدوات التقريب ويكون مستحسنًا كهذا الشاهد .. " . (١)

بل عرض لها من جهة الزيادة على أصل المعنى ، أو كما يقول بعض الدارسين المحدثين : بوصفها غرضاً أسلوبياً لا بوصفها أسلوباً بديعياً (٢) ، ولذا فهي عنده تعني : " الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبانة " . (٣)

هذا التعريف الذى ذكره " الرُّمَّاني " لتلك المبالغة يهدف إلى أمرين:

الأول : توكيد المعنى وتقريره فى النفس .

وذلك ـ فيما أحسب ـ هو المفاد من الزيادة على أصل المعنى ، أو الدلالة على كبر المعنى على حد تعبيره . (*)

الثاني : " .. تحسين الأسلوب ؛ إذ تلقى عليه مسحة خيالية جمالية

---

(١) مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز ص١٠٠ .

(٢) ينظر : مناهج التحليل البلاغي ٩٦ .

(٣) النكت ١٠٤ .

(*) يقول ابن القيم : " .. وسميت مبالغة لبلوغها إلى زيادة على المعنى لو أزيلت تلك الزيادة كان المعنى تاماً دونها ، لكن الغرض منها تأكيد ذلك المعنى فى النفس وتقريره .

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن لابن قيم الجوزية ، ص : ١٩٥ ، الناشر : مكتبة المتنبي القاهرة .

وتمنح الكلام تأثيراً وتضفي عليه طرافة ومتعة " . [١]

ذلك ما يلحظ فى : " المبالغة فى الصفة المعدولة عن الجارية بمعنى المبالغة : كرحمن عدل عن راحم للمبالغة " . [٢]

وإذا كانت العرب قد وضعت " راحماً " .. اسم فاعل .. ليفيد أصل الرحمة [٣] ، فإن العدول عنه إلى " رحمن " جاء ليؤكد فى النفس . فوق تفرده . سبحانه . بهذه الصفة . معنى سعة هذه الرحمة ..

يقول " الرُّمَّاني " مضيفاً إلى ما سبق قوله : " ولا يجوز أن يوصف به إلا الله . عز وجل . لأنه يدل على معنى لا يكون إلا له وهو معنى وسعت رحمته كل شيء " . [٤]

. ومما عدل فيه لهذا الغرض : " المبالغة بالصيغة العامة فى موضع الخاصة ، كقوله . تعالى . : ﴿ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [٥] ، وكقول القائل : " أتاني الناس " ولعله لا يكون أتاه إلا خمسة فاستكثرهم وبالغ فى العبارة عنهم " . [٦]

ولئن كان التعبير بالصفة العامة فى موضع الخاصة في البيان البشري قد جاء ليبث فى النفس معنى تلك الكثرة فإنه في كلام الله . تعالى .

---

[١] من روائع البديع فى القرآن الكريم د/ أحمد عبد المجيد محمد خليفة ، ص : ١٧٥ ، ن : مكتبة الآداب القاهرة .

[٢] النكت ١٠٤ .

[٣] عروس الأفراح بهاء الدين السبكي ضمن شروح التلخيص ٤ / ٣٦٧ .

[٤] النكت ١٠٤ .

[٥] سورة الأنعام الآية (١٠٢) .

[٦] النكت ١٠٤ .

قد اتكأ على هذه الحقيقة فأعادها وكررها ليقرر [1] " .. أن الذى يعبد ويخضع له ويطاع ويعترف له بالدينونه هو خالق كل شئ ، فلا إله غيره ، ولا رب إذن سواه ".[2]

تأمل قول الله . تعالى . : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [3] .

. ومما جرى فى التغيير عن أصل اللغة لهذا الغرض عند " الرُّمَّاني " : " إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة ، كقول القائل : " جاء الملك " إذا جاء جيش عظيم له ، ومنه قوله . تعالى . : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [4] ، فجعل مجيء دلائل الآيات مجيئاً له على المبالغة في الكلام " . [5]

فخروج الكلام مخرج الإكبار عن الأعظم الأكبر . ههنا . ناتج عن حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وإسناد الفعل إلى الملك دون جيشه فى الأول وإلى الرب . سبحانه . دون دلائل آياته فى الثاني ..

---

[1] ينظر : فى ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ١١٦٣ ، ط : دار الشروق ، الطبعة الحادية عشرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

[2] السابق ١١٦٣ .

[3] سورة الأنعام الآيات (١٠٠ : ١٠٢) .

[4] سورة الفجر آية (٢٢) .

[5] النكت ١٠٤ ، ١٠٥ .

ومجيء المبالغة . ههنا . نتيجة لذلك العدول قد أضفى على الأسلوب جانب التعظيم فى الأول والتفخيم لشأن دلائل الآيات فى الثاني .

يقول الشيخ الرازي فى قوله . تعالى . : " وجاء ربك " ، " .. هذا من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، ثم ذلك المضاف فيه وجوه .. ثالثها : وجاء دلائل آيات ربك ؛ لأن هذا يكون يوم القيامة ، وفى ذلك اليوم تظهر العظائم وجلائل الآيات ، فجعل مجيئها مجيئاً له تفخيماً لشأن تلك الآيات " . [1]

. ومن التغيير للمبالغة " إخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة فى العدل والمظاهرة فى الحجاج " هكذا يقول الرُّمَّاني " ومن ذلك قوله . تعالى . : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [2] ، والمعنى : أن أحد الفريقين منا ومنكم لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال .. ، ومعلوم أن من عَبَدَ الله وحده هو على الهدى ، وأن من عبد غيره من جماد أو غيره فى ضلال ، ولكنه أخرج الكلام مخرج الشك والاحتمال لما فيه من الرد بالتورية والتعريض ، والرد بالتورية والتعريض أبلغ من الرد بالتصريح [3] ؛ " .. لأنه في صورة الإنصاف المسكت للخصم " [4] ، أي " .. الذى يسكت الخصم لانقطاع حجته " . [5]

---

[1] التفسير الكبير ٣١ / ١٥٨ .

[2] سورة سبأ آية (٢٤) ، وينظر : النكت ١٠٥ .

[3] ينظر : تفسير البحر المحيط لأبي حيان ، تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود ، والشيخ علي معوض ٧ / ٢٦٨ ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، الكشاف للزمخشري ٣ / ٤٥٩ .

[4] تفسير البيضاوي وحاشية الشهاب عليه ١ / ٥٤٤ .

[5] تفسير البيضاوي وحاشية الشهاب عليه ١ / ٥٤٤ .

وهذه الطريقة . أعني . " طريقة الكلام المنصف تكون غالباً فى مقامات الحوار والجدل ، ولاشك أن فى إنصاف الخصم ما يستدرجه إلى الحق ويقوده إليه " . [١]

و " الجدل على هذا النحو المهذب الموحي أقرب إلى لمس قلوب المستكبرين المعاندين المتطاولين بالجاه والمقام ، المستكبرين على الإذعان والاستسلام ، وأجدر أن يثير التدبر الهادئ والإقناع العميق " . [٢]

. وآخر تلك الأضرب عند الرُّمَّاني : " حذف الأجوبة للمبالغة ، كقوله . تعالى . : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقِفُوا عَلَى النَّارِ ﴾ [٣] ، و : ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ ﴾ [٤] ، ومنه : ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ [٥] ، كأنه قيل : لجاء الحق ، أو لعظم الأمر ، أو لجاء بالصدق ، كل ذلك يذهب إليه الوهم لما فيه من التفخيم ، والحذف أبلغ من الذكر ؛ لأن الذكر يقتصر على وجه ، والحذف يذهب فيه الوهم إلى كل وجه من وجوه التعظيم لما قد تضمنه من التفخيم " . [٦]

---

[١] البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري وآثرها فى الدراسات البلاغية أ.د/ أبو موسى ٣٨٢ ن : مكتبة وهبة ، ط : الثانية ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

[٢] الظلال ٦ / ٢٩٠٥ .

[٣] سورة الأنعام آية (٢٧) .

[٤] سورة البقرة آية (١٦٥) .

[٥] سورة ص آية (١) .

[٦] النكت ١٠٥ ، ١٠٦ .

المبحث العاشر

البيان القرآني عند الإمام " الرُّمَّاني "

بين

الأثر النفسي والتعبير الجمالي

عدّ بعض الدارسين المحدثين " حسن البيان " مقياساً من المقاييس الجمالية فى أسلوب القرآن الكريم [١] ، " وإذا كان جمال الأسلوب يحقق المتعة ويبعث على الارتياح فى النفوس ، فإن قوته ووضوحه وحسن بيانه معا يزيد النفس متعة وارتياحاً لما يتحقق فيه حينئذ من سرعة الإفهام ، وعمق التأثير وصولاً إلى تحقيق الغرض المطلوب " . [٢]

وذلك ـ فيما أحسب ـ ما يلتقي وما ذكره عنه ابن رشيق فى العمدة .

يقول ابن رشيق : " قال أبو الحسن الرُّمَّاني فى البيان ؛ هو : إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك " . [٣]

أما حده عنده فى النكت فهو : " الإحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره فى الإدراك " . [٤]

يبد أن هذا وإن كان يقصد فيه : " أن يكون الكلام ظاهر الدلالة على

---

[١] ينظر : النقد الأدبي د/ صلاح عبد التواب٢/ ١٥٤ .

[٢] السابق٢/ ١٥٤ .

[٣] العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني ، تحقيق / محيى الدين عبدالحميد ١ / ٢٥٤ ، ن : دار الجيل ، الطبعة الرابعة ١٩٧٢م .

[٤] النكت ١٠٦ .

المعنى المراد ؛ فإن ذلك الوضوح هو الشرط الأساسي لكل كلام مؤثر بليغ، وبه يمكن للكلام أن يصل إلى القلب ومن أيسر طريق " . [١]

كما أن هذا وإن كان لا يبعد عما ذكر فى تعريفه له سابقاً إلا أن إحضار المعنى فى النفس لا يتحقق إلا عن طريق تميز الشئ عن غيره وتوضيحه له توضيحاً تاماً .

وذلك لا يتحقق إلا " إذا تكون ـ الكلام ـ من المفردات الدقيقة المحددة لمعانيها .. وهي فى ذات الوقت تمتاز بسهولة نطقها ، ثم يركب بعضها بجوار بعض تركيباً يبعد بها عن اللبس وينأى بها عن التعقيد الذى يستهلك المعاني ويشين الألفاظ ، والذى يصرف عناء القارئ لا فى فهم المعنى ولكن فى سبيل الوصول إليه " . [٢]

ثم إنه إذا كانت الغاية من البيان هي حسن الإفهام لا مجرد الإفهام، فـ"ليس كل بيان يفهم به المراد فهو حسن من قبل أنه قد يكون على عي وفساد " . [٣]

وعلى هذا فشرط البيان عنده هو : " حسن الإفهام " لا مجرد الإفهام ، فالكلام القبيح وإن أفهم المعنى لا ينبغي أن يطلق عليه بيان " . [٤]

---

[١] النقد الأدبي د/ صلاح عبد التواب٢/ ١٥٧ .

[٢] السابق٢/ ١٥٧ .

[٣] النكت ١٠٦ .

[٤] دراسات حول الإعجاز البياني د/ الحناوي ١٠٩ .

ثم إن " حسن البيان فى الكلام على مراتب .. أعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن فى العبارة من تعديل النظم حتى يحسن فى السمع ويسهل على اللسان ، وتتقبله النفس تقبل البرد ، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة " . (١)

وعلى هذا يرى " الرُّمَّاني " ضرورة تحقق أربع خصائص لعلو مرتبة البيان تتعلق بالصياغة :

هي : " حسن الوقع فى السمع ، والخفة على اللسان ، وحسن التقبل فى النفس ، وأن يكون المقام على قدر بالمقال " . (٢)

من هذا وسابقه يتضح أن أسس التعبير الجمالي فى البيان القرآني تبدو فى حسن الإفهام ، وقوة الوضوح ، فضلاً عما جمع أسباب الحسن فى العبارة من تعديل النظم وما يترتب عليه من حسن الكلام فى السمع وسهولته فى اللفظ ، وتقبل المعنى له فى النفس ، وأن يكون الكلام على قدر المقام .

ولما كان هذا متحققاً على أتمه فى كل موضع من كتاب الله ـ عز وجل ـ فقد ترتب على ذلك أمران :

الأول : أن الشيخ لم يعرض إلى بيانه وتفصيله فيما استشهد به من آي الذكر الحكيم ، وإنما ذكر ذلك على سبيل الإجمال .

الثاني : أن الشيخ قد عمد إلى الإفصاح عما يوحي به ذلك الحسن فى البيان القرآني من إيقاع فى القلوب وتأثير فى النفوس .

---

(١) النكت ١٠٧ .

(٢) أثر القرآن فى تطور النقد العربي ٢٤٧ ، وينظر : المباحث البلاغية د/ العمري ١٣٣ ، ودراسات حول الإعجاز البياني ٢٨ .

يقول فى قوله . تعالى . : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ [١] .

" .. هذا بيان عجيب يوجب التحذير من الاغترار بالإمهام " . [٢]

ويقول فى قوله . تعالى . : ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [٣] .

" فهذا أعظم ما يكون من التحسير " . [٤]

ويقول فى قوله . تعالى . : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [٥] .

" وهذا أشد من يكون من التنفير على الخلة إلا على التقوى " . [٦]

ويقول فى قوله . تعالى . : ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ [٧] .

" فهذا أشد ما يكون من التحذير من التفريط " . [٨]

وفى قوله . تعالى . : ﴿ أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِناً

---

[١] سورة الدخان الآيتان (٢٥ ، ٢٦) .
[٢] النكت ١٠٧ .
[٣] سورة الزخرف آية (٣٩) .
[٤] النكت ١٠٨ .
[٥] سورة الزخرف آية (٦٧) .
[٦] النكت ١٠٨ .
[٧] سورة الزمر آية (٥٦) .
[٨] النكت ١٠٨ .

﴿ يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ [١] .

يقول : " وهذا أشد ما يكون فى التبعيد " . [٢]

وفى قوله . تعالى . : ﴿ يُعْرَفُ المُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ ﴾ [٣] .

يقول : " وهذا أشد ما يكون من الإذلال " . [٤]

وفى قوله . تعالى . : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [٥] .

يقول : " وهذا أشد ما يكون من الترغيب " . [٦]

وفى قوله . تعالى . : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [٧] ، وقوله . سبحانه . . : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [٨] .

يقول : " وهذا أبلغ ما يكون من الحجاج ، وهو الأصل الذى عليه الاعتماد فى صحة التوحيد ، لأنه لو كان إله آخر لبطل الخلق بالتمانع

---

[١] سورة فصلت آية (٤٠) .
[٢] النكت ١٠٨ .
[٣] سورة الرحمن آية (٤١) .
[٤] النكت ١٠٨ .
[٥] سورة الزخرف آية (٧١) .
[٦] النكت ١٠٨ .
[٧] سورة المؤمنون آية (٩١) .
[٨] سورة الأنبياء آية (٣٢) .

بوجودهما دون أفعالهما " . [١]

فـ " التحذير " ، و " التحسير " ، و " التبعيد " ، و " التنفير " ، و "الإذلال" و " الترغيب " ، و " الاحتجاج " ، كلها معان نفسية .

ومن هذا يتضح " أن الرُّمَّاني عند استعراضه لتلك الآيات وأمثالها إنما كان يؤكد أن التعبير القرآني يبدو دائماً فى النهاية من حسن البيان ، حيث تتضح الفكرة فيه تمام الوضوح ، ثم يعبر عنها بأقوى ما يكون التعبير ، ومن ثم كان لها عظيم الأثر وأعمقه فى النفوس " . أ.هـ [٢]

[١] النكت ١٠٩ .

[٢] النقد الأدبي د/ صلاح عبدالتواب ١٥٩/٢ .

الخاتمــة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه وصفوة رسله ، وعلى آله وصحبه والتابعين وتابع التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ،،،

فقد اتضح ـ إذن ـ بعد الاهتداء لهذه الفكرة ، وطول معايشتها عند ذلك العالم الجليل من خلال آرائه فى " النكت " ، ما يلي :

أولاً : أن الرُّمَّاني بتحديده لمعنى البلاغة لم يعد قضية اللفظ والمعنى التى كانت موجودة فى عهد الجاحظ ، ولا أن ذلك التعريف يعني بما بينهما من تلازم وارتباط ، بل إن هذا التعريف يهدف فيما يهدف إلى النظم . [١]

ثانياً : أن النظم عنده بمعنى الضم والتأليف ، مع عدم إغفاله فى ذلك التأليف مراعاة المعاني النحوية التى لا تكاد تتناهي . [٢]

ثالثاً : استنبط البحث من فحوى مضمون كلام الشيخ ـ فى بعض نصوصه ـ كثيراً مما هو أصل من أصول الدرس البلاغي عند الإمام عبدالقاهر فى الدلائل والأسرار . [٣]

رابعاً : عرض الشيخ لمشتبه النظم وكان وجه التفرقة بين ما تشابه منه قائماً على المغزى ولب الغرض بناءً على دلالة الألفاظ فى التراكيب

---

[١] البحث ص ٧٤٢٩ .

[٢] البحث ص ٧٤٢٩ ، ٧٤٣٥ .

[٣] البحث ص ٧٤٣٠، ٧٤٣٢، ٧٤٣٣، ٧٤٣٤، ٧٤٣٥، ٧٤٦٢ وما بعدها .

سواء ما جاء منه فى باب التشبيه أو التصريف . [١]

خامساً : وقف البحث إزاء كل مبحث من مباحث الإعجاز البلاغي عند الشيخ ، وأبان فى ذلك عن جهة حسنة ، وانتهى إلى أن كل مبحث من هذه المباحث إلى جانب لفظه ، ونظمه ، ومعناه ، سمات تخصه .

سادساً : وهو مضاف إلى سابقه ، التقط البحث من فحوى مضمون كلام الشيخ كثيراً من أسرار التعبير الجمالي فى النظم القرآني ، وانتهى فى ذلك إلى أن سر جماله هو داعي تأثيره ، وقد بدا هذا فى الإبهام والغموض فى باب الإيجاز والذى يقابله البيان والوضوح فى التشبيه والاستعارة والتجنيس . [٢]

كما التقط البحث من فحوى مضمون كلام الشيخ . أيضاً . إلى جانب ذلك . كثيراً من تلك الأسرار التى تلتقي ، وما عده بعض الدارسين المحدثين مقاييس جمالية أو أسساً نفسية لدراسة الأساليب البلاغية العربية فى العصر الحديث : كالتوسع الدلالي للإيحاء فى باب الحذف ، وتكثيف المعاني فى باب التقصر ، فضلاً عن روعة الإيحاء فى بابي الاستعارة والتشبيه .. إلى جانب ما انفرد به اللفظ الاستعاري من استدعاء المعاني فى اللفظ الاستعاري،فضلاً عن إثارة الأحاسيس النفسية المختلفة في النفس .

---

[١] البحث ص٧٤٣٨، ٧٤٦٧ وما بعدها ، ٧٥٢٥ وما بعدها .

[٢] البحث ص ٧٤٥٥ ، ٧٤٥٨، ٧٤٦١، ٧٤٨٨، ٧٥١٨ .

أما توكيد المعنى وتثبيته فى النفس فذلك ما يشترك معهما فيه . فى بعض وجوهه . تصريف المعاني بين الأثر النفسي والتعبير الجمالي . [١]

سابعاً : خالف البحث الإمام عبد القاهر . رحمه الله . ومن بعد الأستاذ الدكتور / محمد أبو موسى . أطال الله فى عمره . فى كون الاستعارة عند الشيخ إنما تأتي لمجرد نقل اللفظ ، وأن ذلك النقل إنما يكون لغرض واحد وهو الإبانة ، وأثبت من فحوى مضمون كلام الشيخ أنها تأتي لأغراض أخرى . كما هي عند أبي هلال . مثل : توكيد المعنى وتثبيته فى النفس ، أو إيراده فى أسلوب موجز . [٢]

ثامناً : أفصح البحث عما أجمله الشيخ وسكت عنه من ذلك الحسن فى باب الفواصل ، وسر إيثارها على غيرها وأثرها فى النفس ، كما أفصح . أيضاً . عما سكت عنه من سنن العدول عن جرى القرآن على سنن واحد في هذا الباب ، مستنداً فى هذا إلى قول ابن سنان الخفاجي ، وبعض الدارسين المحدثين . [٣]

وقس على أحدهما أو كليهما ما كان من هذا فى بابي التجنيس أو التصريف . [٤]

---

[١] البحث ص ٧٤٥٥، ٧٤٥٨، ٧٤٦٤ وما بعدها ، ٧٤٨٩ وما بعدها ، ٧٤٩٤، ٧٤٩٥ ، ٧٤٦٤، ٧٤٩٦، ٧٥١٦، ٧٥٢٥ .

[٢] البحث ص ٧٥٠٢ .

[٣] البحث ص ٧٥١٠ وما بعدها .

[٤] البحث ص ٧٥١٩ وما بعدها ، ٧٥٢٣ .

ـ التوصيات :

يوصي البحث بدراسة مستقلة تقوم على المقارنة بين ما جاء عليه النظم القرآني وما جاءت عليه فى نفس المعنى نظوم البشر ، وما يترتب على ذلك من الإبانة عن كونه فى أعلى طبقات البلاغة فى الحسن الذى لا تصل إليه مهما رقت أو ارتقت فى ذلك الحسن أساليب البشر .

وحسبك فى هذا قول الله . تعالى .:﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ وقول العرب : " القتل أتقى للقتل " نموذجاً . [1]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد . ﷺ .

[1] البحث ص ٧٤٥٨ وما بعدها .

المصادر والمراجع

١. أثر القرآن فى تطور النقد العربي د/ زغلول سلام . ط دار المعارف .

٢. أدوات التشبيه ودلالاتها واستعمالاتها فى القرآن الكريم . د/ محمد موسى حمدان . مطبعة الأمانة . الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٣. أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر . تحقيق الشيخ محمود شاكر . ن : دار المدني بجدة . الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

٤. الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية . د/ مجيد عبد الحميد ناجي . المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع . ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٥. أصوات اللغة العربية . د/ عيد الطيب . مطبعة الأمانة . ط : أولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .

٦. الإعجاز البلاغي . أ.د/ محمد أبو موسى . ن : مكتبة وهبة . الطبعة الثانية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

٧. الإعجاز البياني للقرآن . د/ عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ . دار المعارف . ط : ثانية .

٨. إعجاز القرآن . الباقلاني . تعليق صلاح عويضه . دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

٩. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية . مصطفى صادق الرافعي . تحقيق عبد الله المنشاوي . مكتبة الإيمان بالمنصورة . الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

١٠. الإعجاز القرآن وجوهه وأسراره . د/ عبد الغني بركة . ن : مكتبة

وهبة . الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

١١. الإكسير فى علم التفسير . الطوفى البغدادي . تحقيق د/ عبد القادر حسين . ن:مكتبة الآداب بالقاهرة . ط:ثانية .

١٢. الإيضاح فى علوم البلاغة . الخطيب القزويني . تحقيق الشيخ عبدالمتعال الصعيدي . ن : مكتبة الآداب النموذجية . ط : أولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

١٣. بديع القرآن . ابن أبي الإصبع المصري . تحقيق د/ حفني شرف . دار نهضة مصر للطبع والنشر .

١٤. البرهان فى علوم القرآن . بدر الدين الزركشي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ن : دار التراث .

١٥. البلاغة الصوتية فى القرآن الكريم . د/ محمد إبراهيم شادي . الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

١٦. البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشري وأثرها فى الدراسات البلاغية أ.د/ محمد أبو موسى . ن : مكتبة وهبة . الطبعة الثانية . ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

١٧. بيان إعجاز القرآن للخطابي ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن الكريم . تحقيق : محمد أحمد خلف الله . د/ زغلول سلام . ن : دار المعارف ، ط : رابعة .

١٨. بيان التشبيه . د/ عبد الحميد العيسوي . ط : أولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

١٩. تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني . د/ عبد العزيز عرفة ، دار الطباعة المحمدية . ط : أولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٤م .

٢٠. تفسير البحر المحيط . أبو حيان الأندلسي . تحقيق الشيخ عادل عبدالموجود ، والشيخ علي معوض . دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .
٢١. تفسير البيضاوي متن حاشية الشهاب . دار الكتب العلمية بيروت . ط : أولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
٢٢. تفسير التحرير والتنوير . الطاهر بن عاشور . الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م .
٢٣. التفسير الكبير . الفخر الرازي . دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ٢٠٠٠م .
٢٤. تفسير المنار . الشيخ رشيد رضا . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م .
٢٥. جامع البيان فى تأويل القرآن . ابن جرير الطبري . مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع . الطبعة الأولى١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .
٢٦. الجامع لأحكام القرآن . القرطبي . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
٢٧. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي . دار الكتب العلمية بيروت . ط : أولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
٢٨. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية . د/ عبد العظيم المطعني مكتبة وهبة . ط : أولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
٢٩. دراسات حول الإعجاز البياني فى القرآن . د/ المحمدي الحناوي . دار الطباعة المحمدية . الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
٣٠. درة التنزيل وغرة التأويل . الخطيب الإسكافي . دار الآفاق الجديدة بيروت . الطبعة الثانية ١٩٧٧م .

٣١. دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني . تحقيق الشيخ محمود شاكر . مكتبة الخانجي . القاهرة . الطبعة الثانية ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م .
٣٢. دور البلاغة فى تأدية الأغراض الدينية . د/ محمد إبراهيم شادي . مطبعة السعادة . ط : أولى ١٤١١هـ / ١٩٩٩م .
٣٣. روح المعاني . الآلوسي . دار التراث بالقاهرة .
٣٤. سر الفصاحة . ابن سنان الخفاجي . دار الكتب العلمية بيروت . ط: أولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
٣٥. شرح طيبة النشر لابن الجزري . مطبعة الأزهر الشريف .
٣٦. شروح التلخيص . السعد وابن يعقوب وابن السبكي والدسوقي . دار الكتب العلمية . بيروت .
٣٧. الصورة البلاغية بين القدماء والمعاصرين . دراسة بلاغية ونقدية . د/ محمد إبراهيم شادي . مطبعة السعادة ، ط : أولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م .
٣٨. الصورة البيانية وقيمتها البلاغية . د/ بسيوني عرفه رضوان . دار الرسالة للطبع والنشر .
٣٩. العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده . ابن رشيق القيرواني . تحقيق محيى الدين عبد الحميد . دار الجيل . الطبعة الرابعة ١٩٧٢م .
٤٠. فى البحث البلاغي قراءة ثانية للباحث ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

٤١. فتح الرحمن بكشف ما تلبس من الرحمن . أبو زكريا الأنصاري . تحقيق أ.د/ عبد العزيز الدرديري . دار الطباعة المحمدية

١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

٤٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراسة من علم التفسير . محمد بن علي الشوكاني . المكتبة العصرية بجدة . ط : أولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

٤٣. الفروق اللغوية . أبو هلال العسكري . تحقيق حسام الدين القدسي . دار الكتب العلمية بيروت .

٤٤. فى ظلال القرآن . سيد قطب . دار الشروق . الطبعة العاشرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

٤٥. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان . ابن قيم الجوزية . مكتبة المتنبي بالقاهرة .

٤٦. القاموس المحيط . الفيروز آبادي . دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

٤٧. كتاب الحيوان . الجاحظ . تحقيق : عبد السلام هارون . دار الجيل بيروت . ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

٤٨. كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد . تحقيق د/ شوقي ضيف . دار المعارف . الطبعة الثانية .

٤٩. كتاب الصناعتين . أبو هلال العسكري . تحقيق : مفيد قميحه . دار الكتب العلمية بيروت . ط : ثانية١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

٥٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل . الزمخشري . تحقيق: مصطفى حسين أحمد . مطبعة الاستقامة . ط : ثانية ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م .

٥١. لسان العرب . ابن منظور . تحقيق نخبة من الأساتذة المتخصصين . دار الحديث .

٥٢. المباحث البلاغية فى ضوء قضية الإعجاز القرآني . د/ أحمد جمال العمري . ن : مكتبة الخانجي القاهرة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

٥٣. مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني . أ.د/ محمد أبو موسى . ن: مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .

٥٤. معاني القرآن وإعرابه للزجاج . تحقيق : عبد الجليل عبده شلبي ، ن: عالم الكتب . الطبعة الأولى١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٥٥. معجم الأدباء . ياقوت الحموي . دار الفكر . ط : ثالثة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

٥٦. المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، تحقيق د/ وائل عبدالرحمن أحمد . المكتبة التوفيقية .

٥٧. من أسرار المغايرة فى نسق الفاصلة القرآنية . د/ محمد الأمين الخضري . مطبعة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

٥٨. مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز من الرُّمَّاني إلى عبدالقاهر الجرجاني . د/ عبد الله بانقيب . ن : دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع . الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م .

٥٩. من بلاغة القرآن د/ أحمد أحمد بدوي . مطبعة نهضة مصر .

٦٠. من روائع البديع فى القرآن الكريم . د/ أحمد عبد المجيد محمد خليفة . ن : مكتبة الآداب . القاهرة .

٦١. النكت فى إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآني . الرُّمَّاني . تحقيق محمد أحمد خلف الله . د/ زغلول سلام . دار

المعارف ـ ط : رابعة .

٦٢. النقد الأدبي ـ دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن ـ د/ صلاح الدين عبد التواب ـ دار الكتاب الحديث ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .

٦٣. وفيات الأعيان وأنباء الزمان ـ ابن خلكان ـ تحقيق / محيى الدين عبد الحميد ـ النهضة المصرية ـ ط : أولى ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م .